اسم اللّه (الرَّحْمن)

في الذكر الحكيم

دراسة بلاغية في الاقتران والعدول والتكرار

إعداد:

دكتور/ محمود شعبان محمد حميدة

مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بالقاهرة

اسم الله (الرَّحْمن) في الذكر الحكيم دراسة بلاغية في الاقتران والعدول والتكرار.

محمـــود شعبان محمـــد حميـــدة

قسم البلاغة والنقد في جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالقاهرة.

الإيميل: abuhafseg22@gmail.com

الملخص:

ورد في القرآن الكريم كثير من أسمائه ــ جلَّ جلالُه، وتقدست أسماؤه ــ ومن أكثرها شيوعًا في القرآن الكريم اسمه ــ تعاظمت أسماؤه ــ «الرحمن»؛ إذ ورد في سبعة وخمسين موضعًا في القرآن الكريم، اقترن في ستة منها باسم الله «الرحيم»، ولم يقترن بغيره في بقية المواضع، وقد لاحظت أن هذا الاسم تفرد بخصائص دون غيره من الأسماء الحسنى، منها:

١ــ أنه صدرت به أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم والحديث الشريف بعد اسم الجلالة.

٢ــ كثرة دورانه في سياقات متعددة من آيات القرآن الكريم وسوره، وفي مقامات شتى تغاير خلاف الظاهر.

٣ــ أنه الاسم الذي سميت به سورة في القرآن الكريم دون أسماء الله الحسنى جميعها.

وفي مواطن ذكر هذا الاسم خصائص وأسرار تخفى في الظاهر، وتحتاج إلى تأمل ونظر للوقوف على سر التعبير به في هذه المقامات؛ وقد حاول البحث دراسة مواقعه وأحواله في الذكر الحكيم وما تفضي إليه من أسرار ودلالات.

الكلمات المفتاحية: الله، الرحمن، الرحيم، العدول، السياق، مقتضى الظاهر، مقتضى الحال.

Allah's name *al-Raḥmān* in the noble Qur'ān. A rhetorical study in coupling deviation and reiteration.

Maḥmūd Sha'ban Muḥammad Ḥimīdah

Assistant Professor of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic language, al-Azhar University.

Email. Abuhafseg22@gmail.com

Abstract:

al-Raḥmān is one most frequently mentioned names of Allah – glory be to Him and to His names – in the noble Qur'an. It comes in fifty seven places in the Qur'an, six of which is combined with Allah's name al-Raḥīm (the most merciful), and not combined to any other name in the other places. I noted that this name has some unique traits such as:

1- It comes at the fore of Allah's glorified names after the name Allah in the Qur'an and Ḥadith.
2- I usually appears in different contexts and different situations with subtle indications in the Qur'an.
3- It is the only name of Allah's glorified names that names a surah in the Qur'an.

In the contexts of this name there are so much secrets and signs of eloquence that require a deep contemplation in order to figure out the merit of using that name in such a situation. This paper sets out to study the different contexts and secrets of this noble name.

Keywords: Allah the most Gracious the most merciful, context, variation, the requirements of the situation, the requirements of the apparent case.

مقـــدمـــة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين.

وبعد،،

فإن لله ــ عز وجلَّ ــ من الأسماء أحسنها، وأسماؤه مدح وتمجيد، وله من الصفات أعلاها وأكملها، وصفاته صفات جلال وكمال، قال -تعالى-: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال -جلَّ شأنه-: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال ــ سبحانه ــ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾ [طه: ٨]، وقال ــ تعالى ــ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤ ﴾ [الحشر: ٢٤].

وأخرج الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعةً وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة»[١].

---

[١]) صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦ هـ)، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم/ محمد فؤاد عبد الباقي)، كتاب: الشروط، باب: ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، رقم: ٢٧٣٦، ١٩٨/٣، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، وصحيح مسلم، لمسلم بن ==

ومن عظيم نعم الله على عباده تعداد أسمائه الحسنى، حتى يتنقل العبد في رياضها، ويأنس بما تحمله من معانٍ، وتتجلى عليه فيوضات الله منها، فيجد كلٌّ بغيته وحاجته في اسم من أسمائه جل وعلا.

وهذه الأسماء تحمل كل معاني الجلال والكمال لله ــ جلَّ وعلا ــ قال حجة الإسلام الغزالي: "الأسامي يجوز أن تتفاوت فضيلتها؛ لتفاوت معانيها في الجلالة والشرف، فيكون تِسْعَة وَتسْعُونَ مِنْهَا تجمع أنواعًا من المعانِي المنبئة عن الْجلال لا يجمع ذلك غيرها، فتختص بزيادة شرف"[1].

وقد ورد في القرآن الكريم كثير من أسمائه ــ جلَّ جلالُه، وتقدست أسماؤه ــ ومن أكثرها شيوعًا في القرآن الكريم اسمه ــ تعاظمت أسماؤه ــ «الرحمن»؛ إذ ورد في سياقات متعددة أكثر من غيره، وقد لاحظت أن هذا الاسم تفرد بخصائص دون غيره من الأسماء الحسنى، منها:

١ــ أنه صدرت به أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم والحديث الشريف بعد اسم الجلالة.

==

الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت: (٢٦١ هـــ)، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب: الذكر، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، رقم: ٢٦٧٧، ٢٠٦٢/٤، الناشر/ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، واللفظ للبخاري.

[1]) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـــ)، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، ١٦٩/١، الناشر: الجفان والجابي – قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

٢ــ كثرة دورانه في مواطن متعددة من آيات القرآن الكريم وسوره، وفي مقامات شتى تغاير خلاف الظاهر.

٣ــ أنه الاسم الذي سميت به سورة في القرآن الكريم دون أسماء الله الحسنى جميعها.

وقد ورد هذا الاسم في سبعة وخمسين موضعًا في القرآن الكريم، اقترن في ستة منها باسم الله «الرحيم»، ولم يقترن بغيره في بقية المواضع.

كما ورد في السنة، فقد روى البخاري عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده»[(١)].

وفي مواطن ذكر هذا الاسم خصائص وأسرار تخفى في الظاهر، وتحتاج إلى تأمل ونظر للوقوف على سر التعبير به في هذه المقامات؛ لذا عقدت العزم على دراسة مواقعه وأحواله في الذكر الحكيم وما تفضي إليه من أسرار ودلالات، وقد سلكت في سبيل ذلك المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي التحليلي.

وقد اقتضت طبيعةُ البحثِ أن يرد في: مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وأربعة مباحث، وخاتمةٍ، وثَبَتِ المصادرِ والمراجعِ، وفهرسِ الموضوعات.

في المقدمةِ: بينتُ أهميةَ الموضوعِ، وسببَ اختياره، وأهميةَ دراستِه، وغايتَه، ومنهجَ الدراسةِ، وخطةَ البحثِ.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الدعوات، باب: فضل التسبيح، ٨٦/٨.

التمهيد: دور الكلمة في السياق، ثم عَرَّفْتُ باسم الله (الرحمن) في اللغة، وما يتعلق به من قضايا.

وقُسِّمَ البحثُ أربعة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: اقتران الرحمن بغيره من الأسماء الحسنى مواقعه وأسراره، وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اقتران الرحمن باسم الجلالة في البسملة.

المطلب الثاني: أسرار تقديم الرحمن على الرحيم.

المطلب الثالث: أسرار تعقيب الرحمن بالرحيم.

المبحث الثاني: أسرار وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (الله)، وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (الله) في مقام الخشية.

المطلب الثاني: وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (الله) في مقام الامتنان بإنزال القرآن الكريم.

المطلب الثالث: وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (الله) في مقام الحديث عن المؤمنين.

المطلب الرابع: وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (الله) في مقام الحديث عن الكافرين.

المبحث الثالث: أسرار وضع (الرحمن) موضع غيره من أسماء الله الحسنى، وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وضع (الرحمن) موضع الملك.

المطلب الثاني: وضع (الرحمن) موضع الجبار.

المطلب الثالث: وضع (الرحمن) موضع القادر.

المبحث الرابع: تكرار اسم الله (الرحمن) مواطنه وأسراره، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: أسرار وروده في القرآن المكي.

المطلب الثاني: أكثر مواطن ذكره.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج التي توصل إليها البحث، ثم ثبت المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وأسأل الله أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يغفر لي ما فيه من القصور والزلل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

كتبه

د/ محمود شعبان محمد حميدة

مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية

بالقاهرة

تمهيد

مادة الكلمة وأثرها في المعنى المراد

توصف الكلمة بالفصاحة حين تصيب القصد، وتؤدي الغرض، وتلائم السياق، قال الإمام عبد القاهر: "وهل تَجد أحدًا يقول: "هذه اللفظةُ فصيحةٌ"، إلا وهو يعتبرُ مكانَها منَ النظم، وحسنَ مُلائمةِ معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟"[1].

ويقول في موضع آخر: "اعلم أن لكل نوع من المعنى نوعًا من اللفظ هو به أخص وأولى، وضروبًا من العبارة هو بتأديته أقوم، وهو فيه أجلى، ومأخذًا إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب، وبالقبول أخلق، وكان السمع له أوعى، والنفس إليه أميل"[2].

فالكلمة فصيحة بحسن وفائها عن المعنى، وحسن اتفاقها مع جاراتها في الوصول إلى هذا المعنى، ولا توصف الكلمة المجردة بالفصاحة حتى تدخل النظم، وتلائم المعنى، وتخدم السياق، وتؤدي الغرض، يقول صاحب النبأ العظيم: "ورب كلمة تراها في موضع كالخرزة الضائعة ثم تراها بعينها في موضع آخر، كالدرة اللامعة، فالشأن إذًا في اختيار هذه الطرق أيها أحق بأن يسلك في غرض، وأيها أقرب توصيلًا إلى مقصد؛ ففي

---

[1]) دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ص٤٤، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

[2]) السابق، ص ٥٧٥.

الجدال أيها أقوم بالحجة، وأدحض للشبهة، وفي الوصف أيها أدق تمثيلًا للواقع، وفي موطن اللين أيها أخف على الأسماع، وأرفق بالطباع، وفي موطن الشدة أيها أشد اطلاعًا على الأفئدة بتلك النار الموقدة، وعلى الجملة أيها أوفى بحاجات البيان، وأبقى بطراوته على الزمان"[١].

فالكلام يفضل الكلام لحسن اختيار أمس المواد في التعبير عن المعنى، وحسن الاختيار للمواد يعلو بالكلام حتى يسترعي سمعك، ويثلج صدرك، ويملك قلبك، وسوء الاختيار في شيء من ذلك قد ينزل به حتى تمجه أذنك، وتغثى منه نفسك، وينفر منه طبعك[٢].

ويكشف عن الجمال البلاغي للكلمة حين يكون أمام المتكلم بدائل يؤدي بها الغرض، فيختار من بينها الأكشف والأتم والأبين، فالكلمة الفصيحة هي ما كشفت وأفصحت إفصاحًا لا غبن فيه عن الغرض.

والذي يتفاضل به الكلام، ويتفاضل به المتكلمون من حسن الاختيار للمواد، وتوفيق أوضاعها، واختيار أمسها رحمًا بالمعنى، هو الذي ارتفع بكلام الله طبقات على كلام البشر.

إن عمود البلاغة ــ كما يقول الخطابي ــ هو وضع اللفظ في موضعه الأخص والأشكل به، الذي إذا أبدل بغيره فسد الكلام، وذهب رونقه، وسقطت بلاغته؛ ففي اللغة ألفاظ متقاربة في المعاني يحسبها الناس متساوية في الإبانة عن المعنى، والأمر مختلف عند علماء اللغة؛ لأن كل

---

[١]) النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧ هـ)، ص ٩١، الناشر : دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة: السابعة، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣م.

[٢]) السابق، ص ٩٠.

لفظة لها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا يشتركان في بعضها[1].

من هنا وجب على الدارس النظر إلى اللفظة المفردة في النص، يتأمل وقعها، وملاءمتها للسياق؛ لأنها سوف تفتح له النص بما فيه من دقيق المعاني، وخفي الإشارات، وكلما أحسن الدارس هذه الوقفات كان أقدر على فهم النص، أما إذا انصرف عنها ظل النص سرًّا محجبًا عنه، يقول الأستاذ الدكتور/ محمد أبو موسى: "الكلمة في النص هي التي تهدينا إلى كل آفاقه، ومنها نبدأ، فإذا لم نحسن درسها وفهمها عجزنا عن دخول عوالمه، وكان عملنا ضلالًا وضياعًا، وهذه حقيقة لا ينكرها منصف" [2]، فالكلمة وعاء الفكر والانفعال، وتمثل في النص شعاع نور يستهدي بضيائه السائر في دياجير الظلام، وتضع يد القارئ البصير على مفاتيح النص، فيسترشد بها إلى الوقوف على مرامي الكلام؛ لأن عقل المتكلم ونفسه وروحه وفكره أصبح كلمات تسري في النص، فإذا أحسنا فهم الكلمات أحسنا الوقوف على مقاصد المتكلم.

وهذا البحث يقف مع مفردة هي اسم الله (الرحمن) يتأملها في المقامات المتعددة التي جاءت فيها، يتسمع همس السياق؛ لينظر مقدار وفائها

---

[1]) بيان إعجاز القرآن، للخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، ت/ محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، ص ٢٩، ط/ دار المعارف، ط/ الرابعة.

[2]) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات القرآنية، الأستاذ الدكتور/ محمد حسنين أبو موسى، ص١٧، الناشر/ دار الفكر العربي ــ القاهرة ــ.

بالمعنى، واتساقها معه من خلال ربط مدلولها بسياقها، وينظر سر اصطفائها على غيرها من أسماء الله الحسنى؛ ليبرز مدى حسن ملاءمتها للمعنى.

إن معرفة مواقع الكلمات هي من أدق البحوث حتى جعله الخطابي عمود البلاغة، فلا يمكن الحكم بإحلال أسماء الله الحسنى محل بعضها؛ لدلالتها جميعًا على الذات الإلهية، أو القول بأنَّ التعبير بأيٍّ منها كافٍ، بل لكل منها خصوصيات دلالية تنفرد بها تجعل التعبير بها في المقام لا يغني عنه غيره، أو ينوب منابه، ويحل محله، كما يقول الشيخ محمد عبد الله دراز: "فالجديد في لغة القرآن أنه في كل شأن يتناوله من شئون القول يتخير له أشرف المواد، وأمسها رحمًا بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به، بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين، وقراره المكين، لا يومًا أو بعض يوم، بل على أن تذهب العصور وتجيء العصور، فلا المكان يريد بساكنه بدلًا، ولا الساكن يبغي عن منزله حِوَلًا، وعلى الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان"[١].

[١]) النبأ العظيم، ص ٩٢.

التعريف بالرحمن

أوَّلًا: الدلالة المعجمية:

الرَّحْمن اسْمٌ من أسماء الله ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ مقصورٌ على الله ــ جَلَّ شَأْنُهُ ــ واختص به وحده، اشتقاقُهُ من الرحمة على وزن فعلان؛ للمبالغة، ومعناهُ عند أهل اللغة: ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة؛ أي: انتهى إلى غاية الرحمة؛ لأن فعلان بناء من أبنية المبالغة، تقول: فرحان إذا كان في غاية الفرح، وهي أبلغ من فعيل؛ لأن زيادة البناء تدل على زيادة في المعنى... فبنيت الصفة على فعلان؛ لأن معناه الكثرة، وذلك لأن رحمته وسعت كل شيءٍ وهو أرحم الراحمين؛...قال الأزهري: ولا يجوز أن يقال: رحمن إلا لله ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ وفعلان من أبنية ما يبالغ في وصفه، فالرحمن الذي وسعت رحمته كل شيءٍ[1]؛ ولذا اختص هذا الاسم به ــ سبحانه ــ وحده؛ لأنه واسع الرحمة، ولا يملك ذلك غيره.

والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة نحو: رحم الله فلانا، وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة، فهي مجاز عن إنعام الله على عباده بإطلاق السبب على المسبب، وعلى هذا

---

[1]) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج (ت: ٣١١ هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، ٤٣/١، ٧٣/٤، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، ولسان العرب، لابن منظور، (ت: ٧١١ هـ)، مادة: رحم، الناشر/ دار صادر ــ بيروت، الطبعة/ الثالثة ١٤١٤ هـ.

روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقة وتعطف[١]، فالغرض الأسمى من حقيقة الرحمة هو صدور آثار الرحمة من الرفق واللطف والإحسان والإعانة[٢].

أو المراد ثمرة الرحمة، وهي الإنعام الكامل[٣]، وقال الآلوسي: "كون الرحمة في اللغة رقة القلب إنما هو فينا، وذا لا يستلزم ارتكاب التجوز عند إثباتها لله ــ تعالى ــ؛ لأنها حينئذ صفة لائقة بكمال ذاته كسائر صفاته، ومعاذ الله ــ تعالى ــ أن تقاس بصفات المخلوقين"[٤].

---

[١]) ينظر: المفردات، للراغب الأصفهاني، ت: محمد سيد كيلاني، ١٩١/١، الناشر/ دار المعرفة، والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ)، الكتاب مذيل بحاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف، لابن المنير، ٨/١، ط/ دار الكتاب العربي – بيروت –، ط/ الثالثة ١٤٠٧ هـ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢ هـ)، ١١/١، الناشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت –.

[٢]) ينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد = التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣ هـ)، ١٧٠/١، الناشر/ الدار التونسية للنشر – تونس – ١٩٨٤م.

[٣]) ينظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة (ت: ١٣٩٤ هـ)، ٥١/١، الناشر/ دار الفكر العربي.

[٤]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي (ت: ١٢٧٠ هـ)، ت/ علي عبد الباري عطية، ٦٢/١، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت –، ط/ الأولى ١٤١٥هـ.

ثانيًا: هل الرحمن اسم عربي؟

اختلف العلماء إلى قولين، هما:

١ــ **القول الأول:** الرحمن اسم عبراني، فجاء معه بالرحيم العربي، نقله ابن الأنباري عن المبرد[١]، ونقله البسيلي عن ثعلب،[٢]، وقال الماوردي: وأما الرحمن ففيه قولان: **أحدهما:** أنه اسم عبراني معرب، وليس بعربي، كالفسطاط رومي معرب، والإستبرق فارسي معرب؛ لأن قريشًا وهم فَطَنَةُ العرب وفُصحاؤهم لم يعرفوه حتى ذكر لهم، وقالوا ما حكاه الله ــ تعالى ــ عنهم: ﴿ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٠]، وهذا قول ثعلب...قال: ولذلك جمع بين الرحمن والرحيم؛ ليزول الالتباس، فعلى هذا يكون الأصل فيه تقديم الرحيم على الرحمن لعربيته، لكن قدَّم الرحمن لمبالغته[٣]، ونقل القرطبي في تفسيره عن أبي إسحاق الزجاج في معاني القرآن أنه قال: "وقال أحمد بن يحيى: الرحيم عربي، والرحمن عبراني؛ فلذا جمع بينهما، وهذا القول مرغوب عنه"،

---

[١]) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، ٥٩/١، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.

[٢]) ينظر: التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي (ت: ٣٨٠هـ)، ٢٣٥/١، الناشر: كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض – المملكة العربية السعودية.

[٣]) ينظر: النكت والعيون = تفسير الماوردي، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، (ت: ٤٥٠هـ)، ت: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ٥٣/١، الناشر/ دار الكتب العلمية ــ بيروت.

فتأول (عنه) ب (فيه)، ونسب القول بأنه عبراني للزجاج، وتابعه في ذلك ابن كثير، والشوكاني، والقنوجي[١]، والصحيح أن الزجاج لم يقل به في كتابه، ولا صح عنه، وإنما هذا القول لأبي جعفر النحاس[٢]، وقد أورد ابن حجر خلاف ما أثبته القرطبي للزجاج؛ حيث حكم للزجاج بتضعيف القول، فقال: "ومن الشاذ ما روي عن المبرد وثعلب أن الرحمن عبراني والرحيم عربي، وقد ضعفه ابن الأنباري، والزجاج وغيرهما"[٣].

---

[١]) ينظر: الجامع لأحكام القرآن =تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١ هـ)، ت/ أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ١٠٤/١، ط/ دار الكتب المصرية – القاهرة –، ط/ الثانية ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤م، و تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ١٢٥/١، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م، وفتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠ هـ)، ٢١/١، الناشر: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط الأولى/ ١٤١٤ هـ، وفتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، ٤٦/١، الناشر: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

[٢]) ينظر: معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـ)، ت: محمد علي الصابوني، ٥٦/١، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى ١٤٠٩م.

[٣]) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ١٥٥/٨، الناشر: دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ.

٢ــ القول الثاني: الرحمن اسم عربي كالرحيم؛ لامتزاج حروفهما، وقد ظهر ذلك في كلام العرب، وجاءت به أشعارهم..فإذا كانا اسمين عربيين، فهما مشتقان من الرحمة، والرحمة هي النعمة على المحتاج، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، يعني نعمةً عليهم، وإنما سميت النعمةُ رحمةً؛ لحدوثها عن الرحمة[١].

والصحيح أن (الرحمن) اسم عربي مشتق من الرحمة؛ لوجود هذا البناء في كلام العرب، كاللهفان والندمان، وأما ما احتج به أصحاب القول بأنه عبراني بأن العرب كانوا لا يعرفونه في الجاهلية؛ ولذا أنكروه، وقالو: وما الرحمن؛ فقولهم: وما الرحمن سؤال عن الصفة، وليس عن الاسم، فالقوم جهلوا صفته، أما الاسم فمعلوم لهم[٢]، ثم أكانوا ينكرونه؛ لأنهم لا يعرفونه؟ لا، لقد أنكروا جحودًا ما علموه يقينًا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ [البقرة: ١٤٦]، ومع علمهم به يكذبون به.

---

[١]) ينظر: تفسير الماوردي، ٥٣/١.

[٢]) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، ٤٥٨/١، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

ثالثًا: هل الرحمن اسم أو صفة؟

إذا كان صفة، فهل يصح أن ينفرد بالدلالة على الله غير مسبوق باسم؟ وإذا كان اسمًا فما موقعه الإعرابي في البسملة؟ نشأ هذا الخلاف على إثر نظرهم في إعراب الرحمن عقب اسم الجلالة في البسملة، واختلف العلماء في ذلك إلى أقوال، هي:

القول الأول: قال بعضهم: إن اسم الله (الرحمن) علم اتفاقي كالجلالة؛ إذ لم يستعمل صفة ولا مجردًا عن اللام إلا إذا كان مضافًا، وهو بدل من الله في: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لا نعت له، نقله أبو حيان عن الأعلم الشنتمري، وتبعه ابن هشام وغيره؛ وذلك مبني على مذهبه من أن (الرحمن) عنده علم بالغلبة؛ لأنه وإن كان مشتقًا من الرحمة، لكنه ليس بمنزلة: الرحيم ولا الراحم، بل هو مثل: الدَّبَرَانِ، وإن كان مشتقًّا من دَبَرَ صِيغَ للعلمية، فجاء على بناءٍ لا يكون في النعوت، ولأنه لم يستعمل صفة، ولا مجردًا من أل؛ وحجته على علميته: وروده غير تابِعٍ لاسمٍ قبله، قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ ﴾ [الرحمن: ١ -٢] ، و ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه: ٥]، وإذا ثبتت العلمية امتنع النعت، فتعين البدل[١].

---

[١]) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) ت/ صدقي محمد جميل، ١/٣٠، ٣١، ط/ دار الفكر – بيروت ــ ط/١٤٢٠ هـ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، ت: الدكتور/ أحمد محمد الخراط، ١/٣٠، الناشر: دار القلم – دمشق.

ورد أبو زيد السُّهَيْلِيُّ عليه بقوله: البدل فيه عندي ممتنع، وكذلك عطف البيان؛ لأن الاسم الأول لا يفتقر إلى تبيينٍ؛ لأنه أعرف الأعلام كلها وأبينها، ألا تراهم قالوا: وما الرحمن؟ ولم يقولوا: وما الله؟ فهو وصف يراد به الثناء، وإن كان يجري مجرى الأعلام"[1]، ورد السمين الحلبي بأن كونه غير تابع لا يمنع أن يكون صفة؛ لأنه إذا علم الموصوف جاز حذفه وبقاء صفته[2]، وذكر أبو البقاء الكفوي عن السيد الشريف: بأنه مشارك لاسم الذات معرفًا ومنكرًا، و من هنا فلا إله إلا الرحمن، يفيد التوحيد بحسب عرف الشرع، وإن لم يفد بحسب عرف اللغة[3].

القول الثاني: ذهب أصحابه إلى أن (الرحمن) صفة، قال أبو حيان: "وَالرحمنُ صفةٌ الله عند الجماعة"[4]، ونقل الآلوسي عن ابن خروف أنه صفة غالبة، ولم يقع تابعًا إلا لله ــ تعالى ــ في البسملة والحمدلة؛ ولذا حكم عليه بغلبة الاسمية، وقل استعماله منكرًا ومضافًا، فوجب كونه بدلًا لا صفة؛ لكون لفظة الله أعرف المعارف[5]، وفي حاشية الكشاف للشيخ/ سعد الدين: "فإن قيل: من أين علم أن الرحمن ليس بعلم؟ قلنا: من جهة أنه يقع صفة، فإن معناه المبالغ في الرحمة والإنعام لا الذات المخصوص مرادفًا لاسم الله ــ تعالى ــ وهذا في غاية الظهور، فالرحمن كان صفة بمعنى

---

[1]) ينظر: البحر المحيط، ١/٣٠، ٣١، والدر المصون، ١/٣٠.

[2]) ينظر: الدر المصون، ١/٣٠.

[3]) الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ت: عدنان درويش، ومحمد المصري، ١/٧٣٥، الناشر/ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ، ط/ ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م.

[4]) البحر المحيط، ١/٣٠، ٣١.

[5]) ينظر: روح المعاني١، ١/٦٥.

كثير الرحمة، ثم غلب على المنعم بجلائل النعم في الدنيا والآخرة، وبالجملة بحيث لا يقع على المخلوق؛ إذ المغلوب قد يكون مرجحًا كما في الإله؛ إذ قل استعماله في الباطل، وقد يكون مهجورًا كما في الرحمن؛ حيث لا يطلق على الغير أصلًا"[١].

وذهب محمد رشيد رضا إلى أن جميع أسماء الله الحسنى صفات تجري على اسمه العلم (الله)؛ إذ يقول: "ومما يترتب على قولنا: أن لفظ الجلالة (الله) علم يوصف ولا يوصف به أن أسماء الله الحسنى صفات تجري على هذا الاسم العظيم"[٢]، واستدل لذلك بأدلة منها:

١ــ بكوْنِهَا صفات وصفت بالحسنى، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

٢ــ تُسْنَدُ إليه ــ تعالى ــ أفعال هذه الصفات، ويقال: رحم اللهُ فُلَانًا، ويرحمهُ اللهُ، وَاللهَمَّ ارْحَمْ فُلَانًا.

٣ــ تضاف إليه مصادرها، فيقال: رحمةُ اللهِ وربوبيتهُ ومغفرتُهُ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

---

[١]) حاشية الكشاف، للسعد، ص١٩٢، الناشر/ مكتبة ولاية بافاريا، ط ١٨٣٨م، من على شبكة المعلومات.

[٢]) المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، ٣٨/١، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

٤ــ هذه الأسماء المشتقةُ كلٌّ منها يدل على ذات اللهِ ــ تعالى ــ وعلى الصفة التي اشتق منها معًا بالمطابقة، وعلى الذَّاتِ وحدها أو الصفة بالتضمن، ولكلٍّ منها لَوَازِمُ يدلُّ عليها بالالتزام، كدلالة الرحمن على الإحسان والإنعام، ودلالة الحكيم على الإتقان والنِّظام، ومن عرف الأسماءَ الحسنى، والصفات العليَا، عرف أن اسم الجلالة الأعظم (اللهَ) يدلُّ عليها كُلِّهَا، وعلى لوازمها الكماليَّة، وعلى تَنَزُّهِهِ عن أضدادها السلبية، فدل هذا الاسم الأعلى على اتصاف مسماهُ بجميع صفات الكمال، وَتَنَزُّهِهِ عن جميع النقائص[١].

القول الثالث: (الله) و (الرحمن) في حقِّ الله ــ تعالى ــ كالاسم الأول، والوصف الغالب الذي يصير كالاسم بعد الاسم الأول، كما في قولنا: عمر الفاروق، وغير ذلك مما نجده في أسماء الخلفاء وأوصافهم المعرفة لهم التي كانت لهم وصفًا وخرجت بكثرة الاستعمال عن الوصفية، حتى إنَّ الشخص وإن لم يتصف به أو فارقه الوصف يقال له ذلك، كالعلم، فَإِذَنْ للرحمن اختصاص بالله ــ تعالى ــ ولا يجوز لغير الله ــ تعالى ــ أن يتسمى به، فإن قيل: إن من النَّاس من أطلق لفظ الرحمن على اليمامي، نقول: هو كما أن من النَّاس من أطلق لفظ الإله على غير الله تعدِّيًا وكفرًا؛ نظرًا إلى جوازه لغة، وهو اعتقاد باطل[٢].

---

[١]) ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[٢]) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، ٣٢٦/٢٩، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

القول الرابع: ذهب ابن القيم إلى أن: "أَسمَاء الرب ــ تعالى ــ أسماء ونعوت، فإنها دَالَّة على صِفَات كماله فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية، فالرحمن اسْمه ــ تعالى ــ ووصفه، لا ينافي اسميتُهُ وصفيتَهُ، فمن حَيْثُ هُوَ صفة جرى تَابعًا على اسْم الله، ومن حَيْثُ هُوَ اسْم ورد فِي القرآن غير تابع، بل ورود الاسم العلم، ولما كان هذا الاسم مختصًّا بهِ ــ تعالى ــ حسن مَجِيئه منفردًا غير تابع كمجيء اسمه الله كذلك، وهذا لا ينافي دلالته على صفة الرحمن كاسم الله؛ فإِنَّهُ دال على صفة الألوهية، ولم يجئ قطّ تابعًا لغيره، بل متبوعًا، بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير؛ ولهذا لا تجيء هذه ونحوها مفردةً بل تابعة، فتأمل هذه النكتة البديعة يظهر لك بها أن الرحمن اسم وصفة، لا ينافي أحدهما الآخر، وجاء استعمال القرآن بالأمرين جميعا"[١].

والصحيح أن (الرحمن) اسم ذات مثل الله؛ لورود النص بذلك، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقول النبي ﷺ: «إن لله تسعةً وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة»[٢]، ولصحة إطلاقه على المولى، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وأسماء

---

[١]) بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، أبي عبد الله ابن قيم الجوزية، ت: هشام عبد العزيز عطا، وعادل عبد الحميد العدوي، وأشرف أحمد، ٢٨/١، الناشر/ مكتبة نزار مصطفى الباز ــ مكة المكرمة، ط/ الأولى ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦م.

[٢]) سبق تخريجه في صدر البحث، ص١.

الذات تختص به ــ سبحانه ــ دون النظر إلى ظهور هذه الصفة على الموجودات والمكلفين.

رابعًا: هل هو مشتق أو غير مشتق؟

اختلفوا في كونه مشتقًا على قولين، هما:

١ــ **القول الأول:** قال بعضهم لا اشتقاق له؛ لأن من الأسماء المختصة بالله؛ وحجتهم:

١ــ أنه لو كان مشتقًا لاتصل بذكر المرحوم، فجاز أن يقال: الله رحمن بعباده، كما يقال: الله رحيم بعباده.

٢ــ أنه لو كان مشتقًا من الرحمة لم تنكره العرب حين سمعوه؛ إذ كانوا لا ينكرون رحمة ربهم، ورد عليهم ابن العربي: إنما جهلوا الصفة دون الموصوف، واستدل بأنهم قالوا: وما الرحمن؟ ولم يقولوا: ومن الرحمن؟ قال ابن الحصار: وكأنه ــ رحمه الله ــ لم يقرأ الآية الأخرى: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠][١].

٢ــ **القول الثاني:** ذهب الجمهور إلى أنه مشتق من الرحمة مبني على المبالغة، ومعناه ذو الرحمة التي لا نظير لها؛ فلذلك لا يثنى ولا يجمع، وإنكار العرب له لجهلهم بالله، وبما وجب له[٢].

والصحيح أنه مشتق، والدليل على كونه مشتق مَا خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: "قَالَ

---

[١]) ينظر: تفسير القرطبي، ١/١٠٤.

[٢]) ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

اللهُ: أَنَا اللهُ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ"[١]، وهذا نص في الاشتقاق، ودليل على كونه اسمًا، فلا معنى للمخالفة.

خامسًا: الصفة التي اشتق منها الرحمن:

اختلفوا في اشتقاق الرحمن والرحيم على قولين ذكرهما الماوردي، فقال:

أحدهما: أنهما مشتقان من رحمة واحدةٍ، جُعِل لفظ الرحمن أشدَّ مبالغة من الرحيم، جُمِعَ بينهما تَأكيدًا.

القول الثاني: أنهما مشتقان من رحمتين، والرحمة التي اشتق منها الرحمن غير الرحمة التي اشتق منها الرحيم؛ ليصح امتياز الاسمين وتغاير الصفتين، واختلف أصحاب هذا القول في معنى الرحمتين على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الرحمن مشتق من رحمة الله لجميع خلقه، والرحيم مشتق من رحمة الله لأهل طاعته بالهداية لهم، واللطف بهم، كما قال تعالى: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

---

[١]) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، أبواب: البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في قطيعة الرحم، رقم: ١٩٠٧، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

القول الثاني: أن الرحمن مشتق من رحمة الله ــ تعالى ــ لأهل الدنيا والآخرة، والرحيم مشتق من رحمتِهِ لأهل الدنيا دُون الآخرة.

القول الثالث: أن الرحمن مشتق من الرحمة التي يختص الله ــ تعالى ــ بها دون عباده، والرحيم مشتق من الرحمة التي يوجد في العباد مثلُها[1].

وقيل: الرحمن المنعم بما لا يتصور جنسه من العباد، والرحيم المنعم بما يتصور جنسه من العباد[2].

وقيل: الرحمن خاص اللفظ عام المعنى، والرحيم عام اللفظ خاص المعنى، فالرحمن خاص من حيث: إنه لا يجوز أن يسمى به أحد إلا الله ــ تعالى ــ عام من حيث: إنه يشمل الموجودات، و (الرحيم) عام من حيث: اشتراك المخلوقين في المسمى به، خاص من طريق المعنى؛ لأنه يرجع إلى اللطف والتوفيق[3].

---

[1]) تفسير الماوردي، ٥٣/١.

[2]) ينظر: البحر المحيط، ٣١/١.

[3]) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن = تفسير الثعلبي، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧ هـ)، ت/ الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق/ الأستاذ نظير الساعدي، ٩٩/١، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، ط/ الأولى ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٢م، ولطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، ت: إبراهيم البسيوني، ٤٧/١، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.

المبحث الأول

اقتران الرحمن بغيره من الأسماء الحسنى مواقعه وأسراره، وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اقتران الرحمن باسم الجلالة في البسملة.

المطلب الثاني: أسرار تقديم الرحمن على الرحيم.

المطلب الثالث: أسرار تعقيب الرحمن بالرحيم.

المطلب الأول

اقتران الرحمن باسم الجلالة في البسملة

قال تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ [الفاتحة: ١]، البسملة يستفتح بها كل أمر ذي بال، وكل أمر لا يستفتح بها فهو أبتر، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "كُلُّ كَلَامٍ، أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللهِ ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ فَهُو أَبْتَرُ، أَوْ قَالَ أَقْطَعُ"[1].

والبسملة معناها: طلب العبد من ربه الاستعانة به، وأسماء الله الحسنى التي وردت في البسملة هي الأسماء الجامعة لمعاني الجلال والكمال، الألوهية والربوبية؛ فلذا فإن العبد يلوذ بها طالبًا الاستعانة من ربه بأجمع صفاته، والتي تشمل كل ما عداها، فهذه الأسماء ينبثق منها كلُّ أسمائه وصفاته ــ جلَّ وعلا ــ فهو الملك والجبار والقوي والقادر والعزيز وغير ذلك من صفاته قهره بألوهيته، وهو الرازق والنافع والضار والمعطي وغير ذلك من صفات ربوبيته برحمانيته.

ورود اسم الله (الرحمن) في البسملة، وهي آية من الفاتحة دلالة على أنه من المعاني الأم التي يرد إليها جميع ما في القرآن الكريم من معانٍ؛ إذ

---

[1]) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ت: (٢٤١ هـ)، المحقق: مكتب البحوث بجمعية المكنز الإسلامي، المشرف: الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، رقم: ٨٨٣٣، ٢٠٧/٤، الناشر: جمعية المكنز الإسلامي – دار المنهاج، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

الفاتحة هي أم القرآن التي اشتملت على معانيه الإجمالية، وكل ما بين دفتي القرآن الكريم إنما هو تفصيل لما ورد في الفاتحة، فلا يوجد معنى في القرآن الكريم إلا وهو منبثق من معنى إجمالي اشتملت عليه سورة الفاتحة تستطيع بالتأمل أن ترده إليه؛ لذا ناسب أن يذكر فيها من أوصاف الله العلية أجمعها: الله، والرحمن، والرحيم، ورب العالمين، ومالك يوم الدين.

ووجه ورود اسمه (الرحمن) في طلب الاستعانة، والاستعانة يناسبها ظاهرًا الاسم الجامع لمعاني الألوهية وهو (الله)، الذي يشعر بمعنى استحقاقه جل وعلا طلب الاستعانة، فهو القوي القادر القاهر العزيز الذي لا يغلب ولا يدافع، إلا أن البسملة جاءت ب (الرحمن الرحيم) لإبراز جمال الربوبية بجانب إبراز جمال الألوهية، وكأنه تلطف في طلب الاستعانة، فقد لا يمنح الإله العون بمقاييس الألوهية، وإنما يمنحها تفضلًا ورحمة بمقاييس الربوبية الذي يتجلى في اسمه (الرحمن).

وهذا لا يعني أن اسم (الله) لا تتجلى فيه معاني الربوبية، فجلال ربوبيته قائم فيه، إلا أن معاني الألوهية تكون أعلق به، كما لا يعني أن اسم (الرحمن) لا تتجلى فيه معاني الألوهية، فجلال الألوهية فيه قائم، فلا يقدر على رحمة الخلق، وعطائهم دون منازع إلا إله قادر، إلا أن ما يتبادر أولًا من هذا الاسم هو جلال ربوبيته سبحانه وتعالى.

فتمنح البسملة بهذه الأسماء قوة وثقة في يقين طالب الاستعانة بها؛ لأنه يستعين بالله الذي لا يعجزه شيء، وتمنحه أملًا في تحقيق مطلوبه؛ لأنه يستعين بالرحمن الرحيم.

وتلحظ في البسملة أن الله ذكر اسمين يختصان به ــ سبحانه وتعالى ــ ويدلان عليه، هما: (الله) يدل على جلال الألوهية والقهر، فلله الهيبة والعظمة، وذكر عقبه اسمه (الرحمن) وهو اسم يدل على عظيم رحمته في ذاته، ورأفته، وكمالها على خلقه، ثم عقبهما بالرحيم؛ ليحيط بكل معاني الرحمة وحالاتها وأزمنتها، فذكر اسمًا يدل على جلال ألوهيته، واسمين يدلان على عظيم رحمته؛ للإشارة إلى أن رحمته بخلقه أكثر من قهره لهم.

قال البيضاوي: "وإنما خص التسمية[1] بهذه الأسماء؛ ليعلم العارف أن المستحق لأن يستعان به في مجامع الأمور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولي النعم كلها عاجلها وآجلها، جليلها وحقيرها، فيتوجه بشَرَاشِرِهِ[2] إلى جناب القدس، ويتمسك بحبل التوفيق، ويشغل سره بذكره والاستعداد به عن غيره" [3]، وقيل: ذِكْرُ (الرحمن الرحيم) في البسملة تعليلٌ للابتداء باسمه عز شأنه[1]؛ أي: استعينوا به؛ لأنه الرحمن الرحيم.

---

[1]) أي: البسملة؛ لأنها تطلق عليها، ينظر: حاشية القونوي عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (ت: ١١٩٥ هـ) على تفسير الإمام البيضاوي، ومعه حاشية ابن التمجيد مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي (ت: ٨٨٠ هـ)، ضبطه وصححه وخرج آياته/ عبد الله محمود محمد عمر، ١٥٢/١، الناشر/ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان.

[2]) شراشره: جمع شرشرة بالفتح، وتستعمل بمعنى النفس والجسد؛ أي بجملته وكليته، ينظر: لسان العرب، مادة: شرر.

[3]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل = تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن ==

واقتصر في البسملة على هذه الأسماء؛ لأن الأنسب في الاستعانة أن يستعين العبد باسم يوافق مقصده؛ فإذا أراد الاستعانة على بيان حكمة الفعل، قال: يا حكيم، وإذا أراد القدرة على الفعل، قال: يا قادر، وإذا أراد العلم بمصير الفعل، قال: يا عليم، فإذا قال: يا الله كفاه كل هذا؛ وهذه الأفعال التي يستعين العبد عليها باسم الجلالة (الله) لا استحقاق له فيها على الله، ولا موجب يوجبها على الله للعبد، إلا أن يكون ذلك تفضلًا منه ورحمة، فيتبع اسم الجلالة باسم الله الرحمن لهذا المعنى، فهذان الاسمان يوافقان جميع مقاصد العبد؛ لأنهما أشمل أسمائه وأجمعها؛ ينبثق من اسم الجلالة (الله)، واسمه (الرحمن) جميع أسمائه وصفاته.

وجاء في البسملة باسم الجلالة (الله) إشارة إلى معاني الألوهية من القهر والغلبة، ثم عقبه ب (الرحمن الرحيم)؛ للإشارة إلى أن رحمته أكثر من قهره؛ فكأنه قال: اذكر أني إله مرة، واذكر أني رحمن رحيم مرتين؛ لتعلم أن العناية بالرحمة أكثر منها بسائر الأمور، أو كأن إيراد الرحمن وتعقيبه بالرحيم طمأنة وتثبيت للعبد، وإشارة مفادها لا تتهيب أن تقبل على كل أمر باسم الله، حتى وإن كنت عاصيًا؛ لأن الله هو الرحمن الرحيم.

وجاء ترتيب أسمائه ــ جل وعلا ــ على هذا الترتيب؛ ليأتي موافقًا لترتيب الوجود، الإيجاد، ثم النعم العامة، ثم الخاصة بالعبادة[٢]، والتحقيق

==

المرعشلي، ٢٧/١، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة: الأولى١٤١٨هـ.

[١]) ينظر: روح المعاني، ٨٤/١.

[٢]) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (ت: ٨٨٥ هـ)، ٢٦/١، الناشر/دار الكتاب الإسلامي -القاهرة-.

يقتضي أن يرد النظم على هذا الوجه ولا يجوز غيره؛ لأن (الله) اسم للذات الإلهية من حيث أن الكل منه وإليه وجودًا ورتبة وماهية، وهو الاسم الذي تنطوي فيه كل صفات الكمال والجلال، فيكفي الإنسان إذا أقبل على عمل أن يقول: باسم الله، ساعتها لا حاجة له أن يقول: يا قوي قوني، أو عزيز انصرني، أو يا غني اغنني؛ ولذا لم يتقدم اسم الجلالة (الله) اسم في البسملة؛ إذ إنه أجمع أسماء الله لمعاني الجلال والكمال، ثم عقب اسم الجلالة ب (الرحمن) وهو اسم له ــ عز وجلَّ ــ معناه: إفاضة الرحمة العامة على الجميع، وأردفه ب (الرحيم) وهو اسم له ــ سبحانه ــ معناه: تخصيص كل ممكن بحصة من الرحمة، فلما كانت البسملة يبتدأ بها كل أمر كان المناسب أن يبدأ من الأعلى فالأعلى؛ إرشادًا لمن يقتصر على واحد أن يقتصر على الأولى فالأولى، وتقريرًا في ذهن السامع لوجه التنزل أولًا فأولًا، ولو لم يرد النظم كذلك لم يكن على النهج الواقع ذوقًا وشهودًا، عقلًا ووجودًا [1].

وجاءت البسملة في بدء كل سورة؛ للإشارة إلى أن ما تتضمنه كل سورة من آداب وأحكام، وتشريع وتكاليف، وإنذار وتبشير، وترغيب وترهيب، هو من فيض رحمة الله.

---

[1]) ينظر: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي = حَاشِيةُ الشِّهَابِ الخفاجي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت: ١٠٦٩هـ)، ٦٧/١، الناشر: دار صادر – بيروت–.

المطلب الثاني

أسرار تقديم الرحمن على الرحيم

يجدر أولًا قبل الحديث عن أسرار تقديم الرحمن على الرحيم أن نطرح سؤالًا مفاده: هل الرحمن والرحيم بمعنى واحد؛ إذ كانا مشتقين من الرحمة، كما تقرر سابقًا، أو بمعنيين مختلفين؟ وما وجه تكريرهما وأحدهما مؤدٍ عن الآخر؟

اختلف العلماء في ذلك إلى قولين:

القول الأول: (الرحمن) و (الرحيم) يدلان على معنى واحد جمع بينهما للتوكيد، قاله أبو عبيدة[١]، ونسب صاحب المنار هذا القول إلى الجلال في تفسيره، وقال: وتبعه الصبان، ونسبه صاحب التحرير والتنوير إلى قطرب، وقال: ومال إليه الزجاج، وهو وجه ضعيف؛ إذ التوكيد خلاف الأصل؛ فالمقام بعيد عن مقتضى التوكيد[٢].

فأصحاب هذا القول ذكروا وجه الجمع بينهما: بأن الثاني منهما تأكيد للأول، والذي حمل هذا الفريق على القول بأن الثاني مؤكِّدٌ للأول هو عدم الاقتناع بما ذُكِرَ من معانٍ للتفرقة بين (الرحمن) و (الرحيم)، وعدم الوصول لوجه من التفرقة يطمئنون إليه أَحْسَنُ مما قالوه، وهذا كلام غير دقيق، فليس في القرآن الكريم كلمة تأتي لمجرد التوكيد؛ بأن تكون عين

---

[١]) مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: ٢٠٩هـ)، ت: محمد فواد سزگين، ٢١/١، الناشر: مكتبة الخانجى ــ القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ.

[٢]) ينظر: المنار، ٣٨/١، والتحرير والتنوير، ١٧٢/١.

الأخرى دون زيادة؛ بحيث تقع تحت ما يسمى بالترادف، بل كل كلمة في القرآن الكريم لها معنى تستقل به عن غيرها.

القول الثاني: أن الاسمين ليسا بمعنى واحد، بل روعي في أحدهما معنى ليس في الآخر، ولكل منهما معنى لا تؤدي الأخرى منهما عنها؛ ولهذا كررا، فليس بناء فعلان كفعيل، فإن فعلان لا يقع إلا على مبالغة الفعل؛ للدلالة على كثرة الشيء وعظمته، نحو قولك: رجل غضبان، للممتلئ غضبًا، وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول، فالرحمن أشد مبالغة من الرحيم، و (الرحمن) خاص الاسم عام الفعل، و (الرحيم) عام الاسم خاص الفعل، وهذا قول الجمهور، وهو مبنيٌّ على أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

ثم اختلفوا في التفريق بينهما إلى أقوال:

١ــ قال أبو علي الفارسي: (الرحمن) اسم عام في جميع أنواع الرحمة، يختص به الله، فالرحمن هو المنعم بنعم عامة تشمل الجميع، و (الرحيم) هو المنعم بالنعم الخاصة بالمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣][1]، وعقب محمد رشيد رضا: بأن الزيادة تدل على زيادة الوصف مطلقًا، فصفة الرحمن تدل على كثرة الإحسان الذي يعطيه سواءٌ كان جليلًا أو دقيقًا، وأما كون أفراد الإحسان الذي يدل عليها اللفظ الأكثر حُرُوفًا أعظم من أفراد الإحسان التي يدل عليها اللفظ الأقل حروفًا فهو غير معني ولا مراد، وقد قارب من قال: إن

[1]) ينظر: تفسير القرطبي، ١/١٠٥.

معنى الرحمن المحسن بالإحسان العام، ولكنه أخطأ في تخصيص مدلول الرحيم بالمؤمنين[١]

٢ــ قال الطبري: (الرحمن) موصوف بعموم الرحمة جميع خلقه، وأنه بالتسمية بالرحيم موصوف بخصوص الرحمة بعضَ خلقه؛ بالمؤمنين في الهداية لهم، واللطف بهم[٢].

٣ــ لله ــ تعالى ــ رحمتان سابقة ولاحقة، فالسابقة هي التي بها خلق الخلق، واللاحقة هي التي أعطى بها الخلق بعد إيجاده، فهو ــ تعالى ــ بالنظر إلى الرحمة السابقة رحمن، وبالنظر إلى اللاحقة رحيم، ولهذا يقال: يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، فهو رحمن؛ لأنه خلق الخلق أَوَّلًا برحمته، فلما لم يوجد في غيره هذه الرحمة، ولم يَخْلُقْ أَحَدٌ أحدًا لم يجز أن يقال لغيره: رحمن، ولما تخلق الصالحون من عباده ببعض أخلاقه وجد شيء من الرحمة اللاحقة التي بها الرزق والإعانة، فجاز أن يقال له: رحيم[٣].

٤ــ قال ابن المبارك: (الرحمن) إذا سئل أعطى، و (الرحيم) إذا لم يسأل غضب. نقله القرطبي[٤].

٥ــ والجمهور على أن معنى (الرحمن) المنعم بجلائل النعم، ومعنى (الرحيم) المنعم بدقائقها.

---

[١]) ينظر: المنار، ٣٩/١.

[٢]) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، ١٢٨/١، ١٢٩، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

[٣]) ينظر: مفاتيح الغيب، ٣٣٦/٢٩.

[٤]) ينظر: تفسير القرطبي، ١٠٥/١.

٦ــ وقيل: (الرحمن) دال على الصفة القائمة به ــ سبحانه ــ فكأنه للوصف له ــ سبحانه ــ أي: إن الرحمة صفة ذات له، و (الرحيم) دال على تعلقها بالمرحوم، فكأنه للفعل؛ أي: إنه يرحم خلقه برحمته؛ أي: صفة فعل له ــ سبحانه ــ وإذا أردْت فهم هذا فتأمل قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ولم يجئ قطّ رحمن بهم، فعلمت أن رحمن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته[١].

٧ــ قيل: وكرر؛ إعلامًا بثبوت الوصف وحصول أثره وتعلقه بِمتعلقاته...مع ما في اسم الرحمن الذي هو على وزن (فعلان) من سعة هذا الوصف وثبوت جميع معناه للموصوف به، ألا ترى أنهم يقولون: غضبان للممتلئ غضبًا، فبناء فعلان للسعة والشمول المراد منه[٢].

٨ــ قيل: صيغة (فعلان) تدل على الصفة العارضة، ولا تدل على الدائمة، فاحتيج إلى صيغة أخرى تدل على الصفة الثابتة الدائمة، وهي صيغة (فعيل)، أو أن أحدهما يدل على الرحمة بالقوة، والآخر يدل عليها بالفعل[٣].

٩ــ وقيل: إن صيغة (فعلان) تدل على وصف (فعلى) فيه معنى المبالغة كفعال، وهو في استعمال اللغة للصفات العارضة، كعطشان، وغرثان، وغضبان، فاسم (الرحمن) يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل، كما يدل على كثرة الصفة وعظمها، وأما صيغة (فعيل) فإنها تدل

---

[١]) ينظر: بدائع الفوائد، ٢٨/١.

[٢]) ينظر: المنار، ٣٩/١.

[٣]) ينظر: المرجع السابق، ٤٠/١.

في الاستعمال على المعاني الثابتة كالأخلاق والسجايا في النَّاس، كعليم، وحكيم، وحليم، وجميل، فاسمه الرحيم يدل على منشأٍ هذه الرحمة والإحسان، وعلى أنها من الصفات الثابتة الواجبة، وبهذا المعنى لا يستغنى بأحد الوصفين عن الآخر، ولا يكون الثاني مؤكدًا للأول، فالرحمن يدل على أنه المفيض للنعم، ولكن لا يفهم منه أن الرحمة من الصفات الواجبة له دائمًا؛ لأن الفعل قد ينقطع إذا لم يكن عن صفةٍ لازمةٍ ثابتةٍ وإن كان كثيرًا، فإذا وصف بعد ذلك بالرحيم علم أن لله صفة ثابتة دائمة هي الرحمة التي يكون أثرها الإحسان الدائم، فيكون ذكر الرحيم بعد الرحمن، كذكر الدليل بعد المدلول؛ ليقوم برهانًا عليه[١].

١٠ــ إن صيغة (فَعْلان) من صيغ المبالغة التي تدل على كثرة الشيء وعظمته، كغضبان، فإنها تدل على الامتلاء من الفعل الذي اشتُقت منه، فكذلك الرحمن معناها الممتلئ رحمة، ورحيم تدل على الاتصاف بالرحمة التي تليق بذاته العلية من غير امتلاء؛ ولذا فإنهم يقولون: إن (الرحمن) أبلغ من (الرحيم)، وتستعمل في الصفات الدائمة، ككريم، فالاسمان يدلان على عظيم الرحمة الدائمة[٢].

---

[١]) ينظر: المرجع السابق، ٣٩/١، ٤٠، وتفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١ هـ)، ٢٨/١، ط/ شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط/ الأولى ١٣٦٥ هـ، ١٩٤٦م.

[٢]) ينظر: معاني القرآن، للزجاج، ٤٣/١، والكشاف، ٦/١، وزهرة التفاسير، ٥٢/١، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي (ت: ١٤٣١ هـ)، ٣٢٥/١٢، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط: الأولى.

١١ــ أن الرحمن صفة ذاتية هي مبدأ الرحمة والإحسان، والرحيم صفة فعل تدل على وصول الرحمة والإحسان، وتعديهما إلى المنعم عليه[١].

ومن رأى أنهما بمعنى واحد، ولم يذهب إلى توكيد أحدهما بالآخر احتاج أنه يخص كل واحد بشيء، وإن كان أصل الموضوع عنده واحدًا؛ ليخرج بذلك عن التأكيد، فقال مجاهد: رحمن الدنيا ورحيم الآخرة[٢].

ثانيًا: أيهما أبلغ في الدلالة على عظيم رحمة الله؟

(الرحمن والرحيم) اسمان عظيمان من أسماء الله الحسنى مشتقان من الرحمة؛ للمبالغة في اتصافه ــ تعالى ــ بالرحمة، فهما يدلان على عظيم رحمته ــ سبحانه وتعالى ــ وتمكنها وتعلقها بخلقه، وقد نشأ خلاف بين أهل العلم يتعلق بأيهما أبلغ في الدلالة على عظيم رحمة الله؟ لا أيهما أبلغ في موضعه، فكلاهما بليغ في موضعه، ولا يقوم الآخر مقامه، ومنشأ الخلاف هو النظر إلى ترتيب الرحمن والرحيم إذا اجتمعا، ويترتب على أقوالهم توجيه تقديم الرحمن على الرحيم، وقد ذهبوا في ذلك إلى أقوال هي:

القول الأول: ذهب الجمهور إلى أن (الرحمن) أشد مبالغة من (الرحيم)؛ وحجتهم:

---

[١]) ينظر: التفسير الوسيط، ١٦/١، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، ٥٦/١، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق –، ط: الثانية ١٤١٨ هـ.

[٢]) البحر المحيط، ٣١/١.

١ــ ما قاله السهيلي: من أنه على صيغة التثنية، والتثنية تضعيف؛ فكأن البناء تضاعفت فيه الصفة[١].

٢ــ أن (الرحمن) يتعدى لفظه ومعناه، و (الرحيم) لا يتعدى لفظه، وإنما يتعدى معناه؛ ولذلك سمي قوم بالرحيم، ولم يتسم أحد بالرحمن[٢].

٣ــ أن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالبًا، كما في قطع وقطع، ومن غير الغالب قد يفيد ناقص البناء ما لا يفيد زائده من المبالغة، كحذر، وحاذر، وبه قال أبو عبيدة، وابن جني، والزجاج، والراغب، والزمخشري، وابن القيم[٣].

---

[١]) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٣/٣٢٤، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، وحاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان الشافعي (ت: ١٢٠٦هـ)، ٢/٤٥٠، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.

[٢]) ينظر: تفسير الماروردي، ١/٥٣.

[٣]) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ)، ١/٥١، جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب، جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، جزء ٢، ٣: من أول سورة آل عمران وحتى الآية ١١٣ من سورة النساء، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي، دار النشر: دار الوطن - الرياض -، الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، جزء ٤، ٥: (من الآية ١١٤ من سورة النساء وحتى آخر سورة المائدة)، تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، الناشر: كلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى، الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم بن حمد ابن محمد بن حمد ==

القول الثاني: ذهب ابن الأنباري إلى أن (الرحيم) أبلغ من (الرحمن) ورجحه ابن عسكر: بتقديم (الرحمن) عليه، وبأنه جاء على صيغة الجمع كعبيد وهو أبلغ من صيغة التثنية[1]، كما ذهب الكفوي إلى أن (الرحيم) أبلغ من (الرحمن)؛ وحجته أن معنى الرحمن المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها على جميع خلقه، والرحيم هو الرفيق للمؤمنين خاصة يستر عليهم ذنوبهم في العاجل ويرحمهم في الآجل، فمتعلق الرحمن أثر منقطع، ومتعلق الرحيم أثر غير منقطع فعلى هذا الرحيم أبلغ من الرحمن [2]،كما صرحوا بأن الرحيم أبلغ؛ لأن (فعيل) يكثر استعماله في الغرائز، كشريف وكريم، و (فعلان) في غيرها، كغضبان وسكران، فيقتضي أنه أبلغ ولو من وجه[3]، هذا القول ضعيف؛ لأن ذلك ليس من صيغة (فعيل)، بل من باب: (فعل) بالضم[4].

القول الثالث: ذهب قطرب إلى أنهما سواء[5].

==

ابن عبد الله بن عيسى (ت: ١٣٢٧هـ)، ت: زهير الشاويش، ١٣/١، الناشر: المكتب الإسلامي ــ بيروت، الطبعة/ الثالثة ١٤٠٦ هـ، والتحرير والتنوير، ١٧١/١.

[1]) ينظر: البحر المحيط، ٣١/١، والإتقان في علوم القرآن، ٣٢٤/٣، وحاشية الصبان على شرح الأشموني، ٤٥٠/٢.

[2]) ينظر: الكليات، ٧٣٥/١، ٧٣٦.

[3]) ينظر: روح المعاني، ٦٤/١.

[4]) ينظر: الكليات، ٧٣٥/١، ٧٣٦.

[5]) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، ٣٢٤/٣، وحاشية الصبان على شرح الأشموني، ٤٥٠/٢.

القول الرابع: ذكر البرهان الرشيدي إلى أن صفات الله التي على صيغة المبالغة كلها مجاز؛ لأنها موضوعة للمبالغة، ولا مبالغة فيها؛ لأن المبالغة أن تثبت للشيء أكثر مما له، وصفاته ــ تعالى ــ متناهية في الكمال لا يمكن المبالغة فيها، وأيضًا فالمبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان، وصفات الله منزهة عن ذلك، واستحسنه الشيخ/ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ[١]، وأجيب بأن المراد الأكثرية بحسب تعدد المفعولات، ولا يوجب تعددها للفعل زيادة؛ إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين، وعلى هذا القسم تنزل صفاته ــ تعالى ــ ويرتفع الإشكال؛ ولهذا قاله بعضهم في (حكيم) معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة إلى الشرائع، والمبالغة في التواب على كثرة من يتوب عليه[٢]، وقال الزمخشري: "والمبالغة في التواب؛ للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده...أو لأنه بليغ في قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب قَطُّ؛ لسعة كرمه"[٣].

والذي يظهر أن جهة المبالغة مختلفة؛ فلذلك جمع بينهما، فلا يكون من باب التوكيد، فمبالغة فعلان، مثل: غضبان وسكران من حيث الامتلاء

---

[١]) ينظر: والإتقان في علوم القرآن، ٣٢٤/٣، وحاشية الصبان على شرح الأشموني، ٤٥٠/٢.

[٢]) ينظر: البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٥٠٧/٢، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، والإتقان، ٣٢٤/٣، وروح المعاني، ٦٤/١.

[٣]) الكشاف، ٣٧٤/٤.

والغلبة، ومبالغة فعيل من حيث التكرار والوقوع بمحال الرحمة؛ ولذلك لا يتعدى فعلان، ويتعدى فعيل[1]،فالاسمان معًا يستغرقان كل معاني الرحمة وحالاتها، ولو كان (الرحمن) مشتملًا على ما يشتمل عليه (الرحيم) وأشد مبالغة منه؛ لكان ذكر (الرحيم) عبثًا لا مقتضى له.

ثالثًا: وجه تقديم الرحمن على الرحيم:

وعلى ما تقرر في اشتقاق الرحمن والرحيم تبين أن ما ذهب إليه جلُّ المفسرين هو أن(الرحمن) أبلغ من (الرحيم)، وعلى إثر هذا الحكم شاع إشكال، هو: لم قدّم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه، والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى؟! اختلفت أقوال المفسرين في ذلك إلى أكثر من قول، هي:

١ــ لله ــ جلَّ ذكره ــ أسماءٌ خَصَّ بها نفسه، وحرَّم على خلقه أن يتسموا بها، مثلُ: (الله) و (الرحمن) و (الخالق)؛ وأسماءٌ أباحَ لهم أن يتسموا بها، وذلك: كالرحيم والسميع، فالواجب أن تقدَّم أسماؤه التي هي له خاصة دون جميع خلقه، ثم يُتبع ذلك بأسمائه التي قد تسمى بها غيره؛ فلذا بدأ الله ــ جل ذكره ــ باسمه الذي هو (الله)؛ لأن الألوهية ليست لغيره ــ جلَّ ثناؤه ــ لا من جهة التسمِّي به؛ فقد حرّمه الله ــ جلَّ ثناؤه ــ ولا من جهة المعنى، ثم ثنَّى باسمه، الذي هو الرحمن، وهو اسم خاص به؛ إذ كان قد مَنع أيضًا خلقه التسمي به؛ فصار كالعلم من حيث إنه لا يوصف به غيره؛ لأن معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها، وذلك لا يصدق على غيره؛ لأن من عداه فهو مستعيض بلطفه وإنعامه،

---

[1]) البحر المحيط، ٣١/١.

فلاختصاصه به ومعادلته للاسم الذي لا يشركه فيه أحد وهو (الله) صار حقيقًا بأن يكون قرينًا للاسم الجليل الخاص به ــ تعالى ــ وإن كان من خلْقه من قد يستحق تسميته ببعض معانيه، وذلك أنه قد يجوز وصْف كثير ممّن هو دون الله من خلقه، ببعض صفات الرحمة، وغير جائز أن يستحق بعضَ الألوهية أحد دونه؛ فلذلك جاء الرحمن ثانيًا لاسمه الذي هو (الله)، وقد قيل في اسمه الرحمن: إنه اسم الله الأعظم، ذكره ابن العربي، وأما اسمه الذي هو (الرحيم) فجائز وصْف غيره به؛ إذ إن الرحمة كثيرة التعلق، فتطلق على غير الله، والرحمة من صفاته ــ جلَّ ذكره ــ، فهذا وجه تقديم اسم الجلالة (الله)، على اسمه الذي هو (الرحمن)، واسمه الذي هو (الرحمن) على اسمه الذي هو (الرحيم)؛ لأن الصيغة الدالة على الاتصاف الذاتي أولى بالتقديم من الصيغة الدالة على كثرة متعلقاتها [١].

٢ــ أنه لما قال (الرَّحْمن) تناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها، أردفه (الرَّحِيم) كالتتمة والرديف؛ ليتناول ما دقّ منها ولطف، وما يدل على جلائل النعم وعظائمها وأصولها أحق بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها [٢].

---

[١]) ينظر: تفسير الطبري، ١٣٢/١، ١٣٣، ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، ٥١/١، وتفسير القرطبي، ١٠٦/١، وتفسير البيضاوي، ٢٧/١، ونظم الدرر، ٢٦/١، والتحرير والتنوير، ١٧١/١.

[٢]) ينظر: الكشاف، ٨/١، وتفسير البيضاوي في أحد أقواله، ٢٧/١، والبحر المحيط، ٣١/١، وإرشاد العقل السليم، ١١/١، وحاشية الشهاب، ٦٦/١.

٣ــ وقيل: قدم الرحمن للمحافظة على رؤوس الآي[١]، والمحافظة على رؤوس الآي إنما تحسن بعد إيقاع المعاني على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه، فتكون الألفاظ تابعة للمعاني، فأما أن تهمل المعاني، ويهتم للتحسين وحده فليس من قبيل البلاغة[٢].

٤ــ ومن حيث إنه أبلغ من الرحيم فأولى الأبلغ الأبلغ[٣]؛ ف (الرحمن) أشد مبالغة من الرحيم، ففعلان أشد مبالغة في الصفة من فعيل، أو لعموم الرحمة التي يقتضيها اسم (الرحمن)، فرحمة (الرحمن) تشمل الخلائق جميعًا، و (الرحيم) رحمته تخص أهل طاعته.

٥ــ ذكرا لإفادة الشمول والعموم كما تقول: الكبير والصغير يعرفه، ولو عكست صح، وكان المعنى بحاله، ومثله لا يلزم فيه الترتيب، كما فصل في المثل السائر[٤].

٦ــ قال الكفوي: "ليس هذا من باب الترقي؛ لأنه إنما يتعين إذا كان الأبلغ مشتملًا على ما دونه؛ إذ لو قدم الأبلغ حينئذ كان ذكر الآخر لغوًا، كما في: (فياض جواد) و (باسل شجاع)، وأما إذا لم يشتمل عليه كما ههنا فيجوز سلوك كل واحد من طريقي التتميم والترقي نظرًا إلى مقتضى الحال، وههنا يحمل على الأول؛ لأن المطلوب بالقصد الأول في مقام العظمة والكبرياء وجلائل النعم، وقدم الرحمن وأردف بالرحيم، كالتتمة؛

---

[١]) ينظر: تفسير البيضاوي، ٢٧/١،

[٢]) ينظر: روح المعاني، ٦٦/١.

[٣]) نظم الدرر، ٢٦/١، وإرشاد العقل السليم، ١١/١.

[٤]) ينظر: روح المعاني، ٦٥/١.

تنبيها على أن الكل منه؛ لئلا يتوهم أن محقرات النعم لا تليق بجنابه فلا تطلب من بابه، وفي الجوهري هما بمعنى، ويجوز تكرير الاسمين إذا اختلف اشتقاقهما تأكيدًا"[١].

أخيرًا: خلاصة القول: نخلص مما تقدم أن ثمة فروقًا بين (الرحمن) و (الرحيم) فليسا بمعنى واحدٍ، بل إن لكل اسم منهما معنى قائمًا بذاته غير الآخر؛ ولذا جمعا في ستة مواضع في القرآن الكريم، ومن تتبع اسم الله (الرحمن) تبين أن اسم الله (الرحمن) ذكر منفردًا في واحد وخمسين موضعًا في القرآن الكريم، غير مسبوق باسم، أو مضاف إلى فعل من الأفعال، أو واقع على أحد، كما يذكر اسم الجلالة (الله) مجردًا من الإضافة إلى شيء، أو شخص، أو فعل، في حين أن اسم الله (الرحيم) لم يرد منفردًا، بل جاء مسبوقًا باسم من أسماء الله ــ جلَّ وعلا ــ وهو الغالب، أو مقرونًا باسم متأخر عنه وهو الأقل، أو مضافًا إلى رحمته ــ سبحانه وتعالى ــ بعباده.

ومن تتبع واستقراء اسم الله (الرحمن) تبين أن هذا اسم ذات لله كاسم الجلالة (الله)، وصفة له ــ سبحانه ــ لا يتعلق بفعل، ولا بشخص يذكر، وهو يشعرنا بكمال رحمة الله، كما أن اسم الجلالة يشعرنا بألوهيته واستحقاقه العبادة، ومما يدل على أن (الرحمن) اسم ذات لله أنه يقوم مقام اسم الجلالة (الله)، وهو اسم مختص به ــ سبحانه ــ فكذلك ما يقوم مقامه، أما الرحيم فيتعلق برحمته بالعباد المكلفين بشريعته؛ ولذا يقترن كثيرًا بالتوبة والمغفرة.

---

[١]) الكليات، ١/٧٣٥، ٧٣٦.

المطلب الثالث

أسرار تعقيب الرحمن بالرحيم

جمع النظم القرآني بين الرحمن والرحيم في ستة مواضع، فجمع بينهما في البسملة، قال تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ [الفاتحة: ١]، وقال ــ تعالى ــ: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ ﴾ [النمل: ٣٠]، وقال ــ جلَّ شأنُهُ ــ: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [الفاتحة: ٣]، وقال ــ عز وجلَّ ــ: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال ــ تعالى ــ: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ [فصلت: ١ – ٢]، وقال ــ تعالى ــ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ ﴾ [الحشر: ٢٢].

وسر الجمع بين الرحمن والرحيم هو التأكيد على استغراق رحمة الله كل معاني الرحمة وحالاتها، ولكمال المبالغة في تأكيد الوصف، وحصول أثره؛ لذا جمع القرآن بينهما في سياقات تحتاج إلى هذا التأكيد.

والضميمة التي تجمع هذه المواضع الستة التي جمع فيها بين الرحمن والرحيم هي الحديث عن تقرير وحدانية الله ــ جلَّ وعلا ــ وهذا التقرير يحتاج إلى مزيد تأكيد لعموم رحمة الله ــ جلَّ وعلا ــ والمبالغة في ذلك؛ ليدفع توهم أن ألوهيته قهر وتسلط، ويرسخ أن انفراده بالألوهية مظهر رحمة.

ويفسر اقتران الرحمن والرحيم بتقرير الوحدانية أن الرحمن اسم مختص بالله لا يسمى به غيره، فإذا جمع إليه الرحيم كان أقطع في الدلالة

على وحدانيته، فاجتماع الاسمين معًا أدل على اختصاصهما بالله؛ لأنه سبحانه هو المختص باجتماع الاسمين[١]، وسنقف على أسرار ذلك.

الموضع الأول:

قال تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾، والبسملة آية من الفاتحة، بل هي أول آية صدر بها الكتاب الذي يدعو إلى تقرير الوحدانية، والتعريف بالخالق؛ فلذا صدر بأجمع أسماء الله التي تعرف به، وتقود إلى إفراده بالعبادة، والبسملة طلب العبد العون من ربه؛ فإذا ابتدأ أمره بها يطلب العون بها من ربه علم يقينًا أنه يطلب العون ممن عمت رحمته، وعلم يقينًا أن عطاء المولى ومنحه العون لعبده باب من أبواب رحمته وفضله، وليس استحقاقًا لأحد من خلقه عليه.

الموضع الثاني:

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾ اجتمع الرحمن الرحيم في ست مواضع، ولم يتكررا في سورة واحدة، سوى الفاتحة، فقد تكررا اجتماعهما مرتين؛ أي: اشتملت الفاتحة على نصف ما اشتمل عليه القرآن الكريم، وهذا يشير إلى أن الفاتحة أم القرآن الكريم، وجمعت مقاصد القرآن، وأول مقاصده تقرير الوحدانية.

قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾، جاء النظم القرآني باسم (الرحمن) عقب ذكر إيجاب الحمد لذاته ــ سبحانه

---

[١]) ينظر: التعبيرات القرآنية التي جاءت على وتيرة واحدة دراسة بلاغية، د/ محمد أحمد أبو نبوت، ص٦١، رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية بالقاهرة.

ــ للتعليل؛ أي: لبيان سبب وجوب الحمد، فيكون المعنى: وجب الحمد لله؛ لأنه الرحمن الرحيم، قال الرازي: "وقد ثبت في أصول الفقه أن ترتيب الحكم على الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم مُعَلَّلًا بذلك الوصف، فههنا أثبت الحمد لنفسه، ووصف نفسه بكونه ــ تعالى ــ ربًّا للعالمين رحمانًا، رحيمًا بهم، مالكًا لعاقبة أمرهم في القيامة، فهذا يدل على أن استحقاق الحمد إنَّما يحصل لكونه ــ تعالى ــ مُرَبِّيًا لهم، رحمانًا رحيمًا بهم، وإذا كان كذلك ثبت أن استحقاق الحمد ثابتٌ لله ــ تعالى ــ في كُلِّ الأوقات سواء كان قبل مجيء النبي أو بعده"[1].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ جاء قبله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾، وجاء بعده قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ جاء الحمد واقعًا بين هاتين الصفتين؛ كأنه تعقيب بالحمد عليهما، وكأنهما تعليل له ثانيًا.

ووجه ذكر اسم الله (الرحمن) بعد قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، تفصيل لما في رب العالمين من الإجمال؛ ولتأكيد السمة البارزة في ربوبيته، والصلة بينه وبين خلقه، وهي الرحمة، وللإشارة إلى أنه ــ سبحانه ــ لا يربيهم لحاجة إليهم، وإنما تربيته لهم لعموم رحمته، وشمول إحسانه، فمظاهر ربوبيته محض فضل ورحمة منه لخلقه، لا موجب لها عليه، قال أبو السعود: "فوجهُ الترتيب أن التربية لا تقتضي المقارنة للرحمة، فإيرادُهما في عقبها؛ للإيذان بأنه ــ تعالى ــ متفضلٌ

---

[1]) مفاتيح الغيب، ١/١٩٧.

فيها، فاعلٌ بقضية رحمتِه السابقةِ من غير وجوبٍ عليه، وبأنها واقعةٌ على أحسنِ ما يكون"[١]، وفيه إشارة إلى تمامها كذلك، فمن عمت رحمته، فإنه لا يشوبه نقص.

وسر ورودهما قبل قوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾؛ الإيذان بأن ملكه ليس قهرًا وجبروتًا، وإنما رحمة منه بخلقه، وطمأنة عباده حتى لا يفزعوا من هول هذا اليوم، فقبل إخباره بملكه يوم الدين؛ الذي هو يوم الجزاء والحساب أعلمهم أنه هو الرحمن الرحيم، وللإشارة إلى أن رحمته فضل، فله ــ سبحانه ــ مطلق التصرف.

وفيه نكتة أخرى ذكرها صاحب المنار، وهي: "أن بعضهم يفهم من معنى الرب: الجبروت والقهر، فأراد الله ــ تعالى ــ أن يذكرهم برحمته وإحسانه؛ ليجمعوا بين اعتقاد الجلال والجمال، فذكر الرحمن وهو المفيض للنِّعم بسَعَةٍ وتَجَدُّدٍ لا منتهى لهما، والرحيم الثابت له وصف الرحمة لا يُزَايِلُهُ أبدًا، فكأَنَّ الله ــ تعالى ــ أراد أن يتحبب إلى عباده، فعرفهم أَنَّ رُبُوبِيَّتَهُ رُبُوبِيَّةُ رحمةٍ وإحسانٍ؛ ليعلموا أن هذه الصفة هي التي ربما يرجع إليها معنى الصفات، وليتعلقوا به ويقبلوا على اكتساب مرضاته، منشرحة صدورهم، مطمئنة قلوبهم"[٢]؛ أي: لما كان في قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ترهيب قرنه بالترغيب، فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ ليجمع بين الرغبة والرهبة، فيكون أعون على الالتزام بطاعته، وأطمع له في

---

[١]) إرشاد العقل السليم، ١/١٥.

[٢]) المنار، ١/٤٣.

رحمته، وليعلم العباد أن ربوبيته رحمة منه، وإحسان إليهم، فيقبلوا على التكاليف، وهم مدركون أن فيها سعادتهم، وما شرعت لقهرهم وجبرهم.

وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فصل بين ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ وقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وهما معنيان متناسبان؛ إذ إنهما يشيران إلى ملكه للدارين بما فيهما، فرب العالمين المستحق الحمد يملك الدنيا، فلا رب سواه، ومالك يوم الدين يملك الآخرة؛ فكان الظاهر يقتضي عدم الفصل بينهما؛ حتى يقع وصفه بملك الدارين جميعًا، وبالانفراد فيهما بالخلق والأمر، فيقال: الحمد لله رب العالمين، مالك يوم الدين، إلا أن النظم قد فصل بينهما بقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ تلطفًا بعباده، حتى لا يداخلهم الخوف من عرض أعمالهم عليه ــ سبحانه ــ فقبل إخباره بملك يوم الدين عرفهم بأنه: الرحمن الرحيم؛ إيناسًا لهذه الأمة، كما أنس نبيهم، واعتناء وتكريما لهم، كما اعتنى بنبيهم حين قدم العفو على ما صورته العتاب؛ لئلا ينصدع قلبه في قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٣][1].

وتكرر ورود الاسمين المباركين: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في الفاتحة بعد آية واحدة من ورودهما في البسملة، قال تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

---

[1]) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبي جعفر (ت: ٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، ٢٠/١، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ١ – ٣] حدا ببعض العلماء أن لا يعدوا البسملة آية من الفاتحة؛ مستندين إلى أنه لو كانت آيَةً لكنا قد أتينا بآيتين متجاورتين بمعنى واحدٍ، وهذا لا يوجد إلا بفواصل تفصل بين الأولى والثانية. قال: والفصل بينهما ب: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ كلَا فَصْلٍ[1].

وهذا كلام لا يرتقي إلى أن يكون حجة لهم على ما ذهبوا إليه؛ إذ إن النظم القرآني اشتمل على كثير من الآيات المتجاورة التي تحمل المعنى نفسه؛ للتأكيد، وهو من أساليب العربية في شعرها ونثرها، وصورة من صور الإطناب الذي زاد فيه الكلام على أصل المعنى لفائدة، ومثاله قوله تعالى: ﴿ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ۝٣٥ ﴾ [القيامة: ٣٤ – ٣٥]، وقوله ــ جل شأنه ــ: ﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤ ﴾ [التكاثر: ٣ – ٤].

قال القرطبي: "قال أكثر أهل المعاني: نزل القرآن بلسان العرب، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التأكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز؛ لأن خروج الخطيب والمتكلم من شيء إلى شيء أولى من اقتصاره في المقام على شيء واحد، قال الله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣ ﴾ [الرحمن: ١٣]. ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ﴾ [المطففين: ١٠]. ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥﴾ [النبأ: ٤ – ٥]. ﴿ فَإِنَّ

[1]) ينظر: البحر المحيط، ١/٣٥.

مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦ ﴾ [الشرح: ٥ – ٦] كل هذا على التأكيد"[١]، ونهج التكرار للتأكيد كثير في القرآن الكريم.

فتكرار ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ تأكيد لكونه ــ تعالى ــ متصفاً بهاتين الصفتين، ففي طي التكرار تعظيم للموصوف ــ سبحانه وتعالى ــ وتقرير لهاتين الصفتين في قلوب العباد، وتكثير لهما، وتنويه بشأنهما؛ حتى يعلم الناس أن العناية بالرحمة أكثر، وأنها أغلب صفات المولى لقوله: ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ [الأنعام: ١٢] ، وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: "إن الله لما قضى الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي"[٢]، وأنه متفضل بها على عباده، وأن هذا الكتاب الذي يستفتحه المولى بذكر اسمه (الرحمن) كله رحمة وهداية، وقال الكرماني: "إِنَّمَا كرر؛ لِأَن الرَّحْمَة هِيَ الإنعام على الْمُحْتَاج، وَذكر فِي الْآيَة الأولى الْمُنعم، وَلم يذكر الْمُنعم عَلَيْهِم، فَأَعَادَهَا مَعَ ذكرهم، وَقَالَ: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ لَهُم جَمِيعًا ينعم عَلَيْهِم ويرزقهم ﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ بِالْمُؤْمِنِينَ خَاصَّة يَوْم الدّين ينعم عَلَيْهِم وَيغْفر لَهُم"[٣].

---

[١]) تفسير القرطبي، ٢٢٦/٢٠.

[٢]) صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب: {وكان عرشه على الماء} [هود: ٧]، {وهو رب العرش العظيم} [التوبة: ١٢٩]، رقم: ٧٤٢٢.

[٣]) أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، لمحمود بن حمزة بن نصر، أبي القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء، (ت: ٥٠٥ هـ)، ت/ عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق/ أحمد عبد التواب أحمد عوض، ٦٥/١، ط/ دار الفضيلة.

وأفرد هذين الاسمين بالذكر دون اسم الله الذي جاء قبلهما في البسملة؛ لتأكيد معنى الرحمة، وذكر أحدهما بعد الآخر؛ إطماعًا لقلوب عباده، قال المبرد: هو إنعام بعد إنعام، وتفضل بعد تفضل[1]، لقد ذكر المولى ــ سبحانه ــ من أسمائه في الفاتحة ــ التي هي أم الكتاب، وكل معنى من القرآن الكريم مردود إليها ــ: (الله)، و (الرحمن)، و (الرحيم)، و (رب العالمين)، و (مالك يوم الدين) خمسة أسماء تدل على ذات الله ــ جلَّ وعلا ــ وتعرف به، كرر منها الرحمن والرحيم مرتين، وهما يدلان على الرأفة والرحمة، فإذا انضم إليهما رب العالمين بما يحمله من معنى الإحسان إلى المربوبين كان مجموع ما يدل على الرحمة من الألفاظ في الفاتحة خمسة، في حين أنه اقتصر على ذكر اسمين دالين على قهره وألوهيته هما: (الله)، و(مالك يوم الدين)، فكانت الألفاظ الدالة على رحمته أغلب من الألفاظ الدالة على قهره وقدرته؛ وذلك للإشارة إلى أن رحمته أكثر وأكمل من قهره.

وورود هذا الاسم وتكراره في الفاتحة دلالة على أن موضوع السورة هو بيان رحمة الله تعالى، وأنه بهذه الأسماء مستحق للحمد من عباده، ومستحق له في ذاته؛ ولهذا نسب الحمد إلى اسم الذات الموصوف بهذه الصفات.

قال القطان: "فذكَر «الرحمن» أي: المفيض للنعم بسعة وتجدُّدٍ لا منتهى لهما، و «الرحيم» الثابت له وصف الرحمة، لا تزايله أبدًا؛ بذا عرّفهم أن

---

[1]) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، ت: عبد الرزاق المهدي، ٧٢/١، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت –، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

ربوبيته رحمة وإحسان؛ ليعملوا أن هذه الصفة هي الأصلية التي يرجع إليها معنى بقية الصفات فيتعلقوا به، ويُقبلوا على اكتساب مرضاته، هذا وإن تكرار وصف الله لنفسه بالرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب لهو تأكيد لمعنى أن الدين الذي كتابه القرآن إنما تقوم فضائله ونظُمه على الرحمة والحب والإحسان"[1].

الموضع الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وردت هذه الآية في سياق تقرير الله ــ عز وجلَّ ــ لذاته بالوحدانية، ونفيها عن غيره، وسوق الأدلة الكونية على ذلك، وتبرئته من الأضداد، فلا يصح أن يسمى إلهًا، أو يفرد بالعبادة غيره، كما لا يصح أن يشرك معه غيره، أو يظن أن هناك إلهًا، ولكنه لا يستحق منهم العبادة، فشهد لذاته تعالى بالوحدانية على وجه قاطع، وأزاح كل ما سوى ذلك، فقال ــ جلَّ شأنه ــ : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، فأثبت الألوهية لذاته ونفاها عن كل ما عداه، ثم أتم استحقاقه للألوهية بقوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾، وكأنهما تعليل لهذا الاستحقاق الذي منحه لذاته ــ سبحانه وتعالى ــ وإبطال لشركهم واعتمادهم على الألهة من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، فالصفة التي يتضمنها اسم الله (الرحمن) هي أعون الصفات على إقناعهم بتوحيد الله.

---

[1]) تيسير التفسير، لإبراهيم القطان (ت: ١٤٠٤هـ)، ١/١، الكتاب ضمن المكتبة الشاملة.

فأتى بالحجة الدامغة والدليل العام على استحقاقه الألوهية في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ثم أتبع ذلك بالأدلة الكونية التفصيلية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤].

فاسم الله (الرحمن) يثبت به جلَّ وعلا صفة الرحمة له، والتي من آثارها جلب النفع، ودفع الضر، فهو حجة على استحقاقه تعالى للألوهية وانفراده بها، ونفيها عن غيره من المخلوقين، وتقريرها: أنه تعالى مولي النعم كلها أصولها وفروعها، فهو المنعم (الرحمن الرحيم)، ولا شيء من معبوداتهم وأندادهم متصف بهذه الصفة، فكل ما سوى الله أما نعمة أو منعم عليه، والرحمن هو المنعم، والكل مفتقر إليه، فلا يستحق التوحيد أحد غيره؛ لافتقار الجميع في وجودهم إليه[١]، واكتفى في هذا المقام بالاتصاف بالألوهية والرحمة دون التصريح[٢] بصفات العلم أو الحكمة أو الإرادة أو غير ذلك من صفات جلاله وكماله، والتي لا تصح الألوهية إلا بها؛ تعريضًا بهم؛ لأن من دان منهم لغير الله دان لهم اتقاء ضررهم، ورجاء نفعهم ونوالهم، كما قالوا في أصنامهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى

---

[١]) ينظر: الكشاف، ١/٢١٠.

[٢]) قلت: دون التصريح، ولم أقل دون ذكر؛ لأن جميع هذه الصفات منطوية تحت اسم الجلالة (الله).

ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، فعبادتهم لغير الله من الأصنام قائمة على أمور لها صلة بصفات الله المذكورة من خوف ضررهم، ورجاء نفعهم، لا لما عندهم من العلم مثلًا، فعدم علمها أمر ظاهر لا يدعونه لهذه الأصنام، وإنما كانوا يدعون أنها تستطيع أن تلحق بهم ضررًا، أو تجلب لهم نفعًا، فبين لهم ــ سبحانه وتعالى ــ أن القوي القادر الذي يستطيع أن يلحق بهم ضررًا، أو يدفعه عنهم هو الله، وأن النعم التي يبتغونها عند آلهتهم كلها عنده ــ جلَّ شأنه ــ فكأن الآية ناطقة: اعبدوا الله القادر القاهر فهو بمقتضى ألوهيته يكفيكم كل ضرر تخافونه، الرحمن المتفضل بجميع ألوان النعم جليلها وحقيرها، وبمقتضى رحمانيته يمنحكم كل ما ترجونه، وقد بسط القرآن الكريم القول في هذ الأمر في أكثر من آية، قال تعالى على لسان خليل الله إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧ ﴾ [الأنبياء: ٦٦ – ٦٧].

وللإشارة إلى أن ألوهيته من مظاهر رحمانيته، وليست قهرًا ولا استعلاء أو طغيانًا، فألوهيته وتوحيده رحمة منه بنا عصمنا به من الخضوع لغيره، وأعلى بها مقام عبوديتنا، رفعنا به من الذل إلى العز، ومن المهانة إلى الكرامة، ومن الاستعباد إلى الحرية، ومن القهر إلى الاستعلاء.

وفي طيات الدعوة إلى ألوهيته مظهر من مظاهر رحمته بنا؛ إذ يدعونا برحمته إلى التعلق باسمه الأعظم؛ لينجينا من التقييد بغيره مما فيه ذلنا.

ويأتي الرازي بوجه مفاده أن ذكر (الرحمن الرحيم) إنما هو تلطف وتأنيس في الدعوة مقابل ما توحي به صفة الألوهية من القهر، وإطماع للعبد وترغيب له بهاتين الصفتين في وجوب توحيد الله ــ جلَّ وعلا ــ فيقول: "واعلم أنه ــ سبحانه ــ إنَّما خصَّ هذا الموضع بذكر هاتين الصفتين؛ لأن ذكر الْإِلَهِيَّةِ الْفَرْدَانِيَّةِ يفيد القهر والعلُوَّ، فعقَّبَهُما بذكر هذه المبالغة في الرحمة؛ ترويحًا للقلوب عن هَيْبَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَعِزَّةِ الْفَرْدَانِيَّةِ، وإشعارًا بأن رحمته سبقت غضبه، وأنه ما خلق الخلق إلا للرحمة والإحسان"[١].

أثبت المولى لذاته استحقاق الألوهية بأخصر طريق وأجمعه؛ إذ إنه أثبت لنفسه صفات القهر والعلو، وصفات الرحمة والحنو، فأثبت أن مجامع العظمة بيديه بإثبات هذين المقامين، يخشى الخلق سطوته، ويرجون رحمته.

أما الإمام البقاعي فأثبت وجهًا لذكر (الرحمن) هنا، وهو أنه هو الدليل الظاهر على قضية الوحدانية، فالرحمة أظهر الصفات التي يرون أثرها؛ إذ يقول: "ولما كان هذا التوحيد الإلهي أمر غيب من الإله أظهره ــ سبحانه وتعالى ــ بمظهر الرحمانية المحيطة الشاملة والرحيمية الاختصاصية لما عند الخلق من شاهد ذلك فيما يجدونه من أثر الرحمانية في دنياهم وآثارهم، وما يجدون من آثار الرحيمية في اختصاصهم المزية

---

[١]) مفاتيح الغيب، ١٥٢/٤.

في تضاعف رحمته، فكان في مجموع هذه الآية أعظمية من غيب الإلهية إلى تمام اختصاص الرحيمية"[1].

الموضع الرابع:

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ ﴾ [النمل: ٣٠]، ووجه الجمع بين الرحمن والرحيم أن سياق الآية هو تقرير الوحدانية، فقد سبقها إنكار الهدهد أن يسجد القوم للشمس من دون الله، وقصر الألوهية على الله، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٦ ﴾ [النمل: ٢٦]، فالمستحق العبادة هو الله الرحمن الرحيم، وجاءت البسملة في مفتتح كتاب سيدنا سليمان ــ عليه السلام ــ لبلقيس ملكة سبأ، وضمنها (الرحمن الرحيم)؛ للإشارة إلى فيض رحمة معبوده ــ سبحانه وتعالى ــ على جميع خلقه؛ ولذا فهو أحق بالعبادة من معبوداتهم، فهو بهذا الاستفتاح يستميل قلوبهم، ويرغبهم إلى ما يتضمنه كتابه من دعوتهم، فهي دعوة لما فيه خيرهم ورشادهم، مصدرها الرحمة بهم.

الموضع الخامس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣ ﴾ [فصلت: ١ – ٣].

جاء الحديث عن الامتنان بإنزال القرآن الكريم، وتفصيل آياته، وكونه قرآنًا عربيًا في مطلع سورة (فصلت) والسورة يدور محور الحديث فيها عن إنعام الله وتفضله بإنزال الوحي، فهذا هو موضوعها الرئيس، ففي

---

[1]) نظم الدرر، ٢/٢٨٥، ٢٨٦.

مفتتحها قوله تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ ﴾، وفي وسطها يجيء الحديث عن استقبال المشركين للقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ۝٢٦ ﴾ [فصلت: ٢٦]، وفي خاتمتها يتحدث عن إحكام القرآن الكريم وتنزهه عن الباطل، وبيان أنه من عند الله الحكيم الحميد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢ ﴾ [فصلت: ٤١ – ٤٢]، كما يتحدث عن شبهتهم الباطلة التي وجهوها للقرآن واقتراحهم أن يكون أعجميًّا، ويرد عليهم فيها بما يدحض شبهتهم، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ ﴾ [فصلت: ٤٤].

قال الإمام البقاعي: "وتضمنت هذه السورة العظيمة من بيان عظيم الكتاب وجلالة قدره وكبير الرحمة به ما لا يوجد في غيرها من أقرانها، كما أنها في الفصاحة تبهر العقول بأول وهلة، فلا يمكن العربي الفصيح في شاهد برهان أدنى توقف، ولا يجول في وهمه إلى معارضة بعض آيها أدنى تشوف، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢ ﴾"[1].

[1]) نظم الدرر، ١٣٩/١٧، ١٤٠.

وسر التعبير باسم الله (الرحمن) الإشارة إلى أن تنزيل القرآن الكريم من أجل النعم التي امتن بها الرحمن صاحب الرحمة العظيمة الدائمة على عباده؛ رحمة بهم، وإحساناً إليهم، أشار إلى ذلك الإمام الرازي بقوله "الفعل المقرون بالصفة لا بُدَّ وأن يكون مناسبًا لتلك الصفة، فكونه ــ تعالى ــ رحماناً رحيمًا صفتان دالَّتان على كمال الرحمة، التنزيل المضاف إلى هاتين الصفتين لا بُدَّ وأن يكون دالًّا على أعظم وجوه النعمة، والأمر في نفسه كذلك"[1]، فالصفة الغالبة في إنزال القرآن الكريم هي الرحمة؛ لأنه حصل بنزوله العلم، والهدى، والشفاء لما في الصدور، والرحمة، والبيان لكل شيء، أو للإيذان بأنه مدار المصالح الدينية والدنيوية، واقع بمقتضى الرحمة الربانية؛ ذلك لأن المنزل ممن صفته الرحمة الغالبة لا بد وأن يكون مدارًا للمصالح كلها[2].

وقد أخبر المولى ــ سبحانه ــ صراحة عن أن إنزاله القرآن الكريم رحمة منه بالعالمين، فقال ــ جلَّ شأنه ــ: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٧]، وقال ــ جلَّ شأنه ــ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١]، وقال ــ سبحانه ــ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾، بما فيه من مبادئ سامية، وقيم عالية، ونظم وافية، وأصول حية خلصت العقول من الجهل، وأيقظت القلوب من

---

[1]) مفاتيح الغيب، ٢٧، ٥٣٧، ٥٣٨.

[2]) ينظر: تفسير البيضاوي، ٦٦/٥، وإرشاد العقل السليم، ٢/٨، وروح البيان، لإسماعيل حقي (ت: ١١٢٧ هـ)، ٢٦٦/٨، الناشر/دار الفكر – بيروت.

الغفلة، وأطلقت العالم من أسر الضلال والأوهام، وصدق العلي؛ إذ يقول: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم: ١].

وقد أتبع كون التنزيل من الرحمن الرحيم بصفات تؤكد أن نزوله على هذا النحو من مظاهر رحمة الله، فهو ﴿كِتَٰبٌ﴾ محفوظ يقرأ ويدرس، وتستخلص منه العظات والعبر، ويتلقى منه الحكمة والهداية، جمع فيه علوم الأولين والآخرين، ﴿فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بُينت وفسرت في أساليب مختلفة، ومعانٍ متغايرة، فهو كتاب الوجود كله، وهو الكون الناطق، فيه وصف ذات الله، والنظر في الكون، والإنسان، والحيوان، والنبات، والعبادات والمعاملات، والجنة والنار، والترغيب والترهيب، والنصح والوعظ، وكل ما يحتاج الإنسان إليه، ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ نزل بلغة العرب، وقد امتن الله بذلك في أكثر من موضع، ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾؛ أي : يفهمون ما فيه، فيسر عليهم حفظه وتلاوته وفهمه، ﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ يشتمل على البشارة للمطيعين، والنذارة للمتمردين، وهو كامل في كلتا الصفتين بدلالة التعبير بالاسم في كل منهما، وكون البشارة من مظاهر رحمة الله بالمؤمنين هو أن ما يعدهم به فضل محض منه ورحمة بلا استحقاق منهم، والرحمة في النذارة هو أنه ــ سبحانه ــ أعلمهم بعاقبة أمرهم؛ حتى يكون من ذلك على حذر.

وفيه إشارة إلى أن كل ما يأتي في السورة من إنزال القرآن الكريم، والحديث عن خلق السماوات والأرض، والحديث عن مصارع الغابرين، والحديث عن محاسبة المكذبين أعداء الله يوم يحشرهم المولى، وتشهد

عليهم أسماعهم وأبصارهم وجلودهم، والحديث عن آيات الله: الأرض التي تراها هامدة فإذا نزل عليها اهتزت وربت، من الذي أحياها؟!، وكل ما جاء في السورة مما انمحت معه وانعدمت الأسباب الحقيقية الظاهرة، يلفتنا المولى بقوله في مفتتح السورة: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ إلى أن كل ذلك من مظاهر رحمة الله.

وإذا كان اسما الرحمن والرحيم قد ذكرا في موطن الحديث عن الامتنان بإنزال القرآن الكريم؛ فإن الذي يجمع هذا الموطن مع مواطن اجتماع الرحمن الرحيم هو تقرير الوحدانية؛ إذ الغرض الأول من إنزال الكتاب هو تقرير وحدانية الله، وتصديق النبي ﷺ في دعوته إلى عبادة الله، وقد جاء في السورة الدعوة إلى توحيد الله، قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ﴾ [فصلت: ٦]، والإنكار على الكافرين كفرهم، قال تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩ ﴾ [فصلت: ٩]، ثم بين في نهاية السورة أن الكون سينطق بالدلائل الواضحة الشاهدة بوحدانية الله، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٥٣ ﴾ [فصلت: ٥٣].

الموضع السادس:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢].

جاءت الآية في نهاية سورة الحشر، وسياق السورة ومقصدها الأسمى هو الحديث عن هيمنة سلطان القدرة الإلهية على كل سلطان مهما علا شأنه، ومن شواهده ودلائله غلبة سلطانه سلطان الأحزاب؛ إذ أخرجهم من ديارهم، فلم تمنعهم حصونهم من الله مع ظنهم أنها مانعتهم، وغير ذلك مما أثبتت السورة، ثم يأتي في ختامها سلسلة آيات تقر لله بالوحدانية، تعرف بالله ــ جلَّ وعلا ــ وتثبت له مجامع العظمة من خلال ذكر العديد من أسمائه الحسنى، جاء في ختامها قوله تعالى: ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر:٢٤].

وقد بدأت الآيات بإثبات الألوهية لله ونفيها عن كل ما سواه ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، ثم أتبع ذلك ما يقرر وحدانيته، والرحمن اسم من أسماء الله الحسنى يثبت به المولى لذاته عموم الرحمة والإنعام، وسر وروده هنا بعد صفة ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ ﴾، وقبل قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ﴾ [الحشر: ٢٣]، هو الإشارة إلى أن رحمته بخلقه ناشئة عن عموم علمه، فأجرى أمورهم على ما يصلح شئونهم، ثم عقبها بصفة الملك؛ للإشارة إلى أن رحمته فضل، قال الطاهر بن عاشور: "ووجه تعقيب صفة عموم العلم بصفة الرحمة أن عموم العلم

يقتضي أن لا يغيب عن علمه شيء من أحوال خلقه وحاجتهم إليه، فهو يرحم المحتاجين إلى رحمته، ويمهل المعاندين إلى عقاب الآخرة، فهو رحمان بهم في الدنيا....وعقب وَصْفَا الرحمة بوصف الملك؛ للإشارة إلى أن رحمته فضل وأنه مطلق التصرف"[1].

أو للإشارة إلى عموم علمه بما يقع من خلقه؛ إذ لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، ومع ذلك لا يعاجلهم بالعقوبة على قبح معاصيهم، بل يرحمهم بأمهاله؛ رجاء أن يتوبوا إليه، ويبسط لهم في أرزاقهم.

أو لأنه لما وصف ذاته بعموم العلم غيبًا وشهادة فزع من يستخفي بالمعصية ولا يجاهر بها؛ فطمأنه المولى بوصف ذاته بالرحمة؛ حتى يتوب إليه، وأطمعه بهذا الاسم في رحمته.

وآثر النظم القرآني الجمع بين الرحمن والرحيم، والتعبير بأسلوب القصر؛ لمزيد التأكيد على صفة الرحمانية في هذا المقام الذي يستدعي تأكيدها؛ إذ جاءت الآية بعد آيات يعلن المولى فيها غلبة سلطانه، وشدة أخذه لهذا الذي غلبه شيطانه فكفر، فأخبر المولى أنه عاقبته هو وشيطانه النار، وأخبر بأنه خبير بما يعمل الناس، وأن عاقبة الإعراض عنه إهمال وترك للعبد، ثم نفي الاستواء بين أصحاب النار وأصحاب الجنة في رسالة تحذيرية شديدة، ثم أخبر بأنه يعلم الغيب كما يعلم الشهادة يستويان في علمه، وأنه هو الملك العزيز الغالب، فلا يدفعه دافع، أو ينازعه منازع، هذا السياق المشحون بالوعيد والتخويف إذا أتت فيه صفة الرحمة تساءل العبد عن قدرها ومقدارها، وهل تستوعب كل ما ذكر من مخالفات من

---

[1]) التحرير والتنوير، ٢٨/١٢٠.

العبد؛ لذا جمع المولى بين الرحمن والرحيم، وأتى بها في أسلوب فيه تأكيد على تأكيد؛ ليجمع كل معاني الرحمة وحالاتها؛ وليبث الطمأنينة في قلوب عباده؛ لذا اختص هذا الموضع دون غيره من سياقات القرآن الكريم كله التي ورد فيها اسم الله (الرحمن) بالإتيان به على هذا النحو من الجمع للاسمين المباركة في هذه الصياغة المؤكدة.

المبحث الثاني

أسرار وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (الله)، وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (الله) في مقام الخشية.

المطلب الثاني: وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (الله) في مقام الامتنان بإنزال القرآن الكريم.

المطلب الثالث: وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (الله) في مقام الحديث عن المؤمنين.

المطلب الرابع: وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (الله) في مقام الحديث عن الكافرين.

تمهيد

خروج الكلام عن السمت المعتاد سنن مسلوك في لسان العرب، وهو ما يسمى بالعدول أو إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وتتبوأ مسألة العدول هذه مكانة سامية في الدرس البلاغي؛ فإخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر من سياق الكلام ومقاماته لون من ألوان تفنن المتكلم الواعي بأسرار الكلام في صياغة عباراته بما يتناسب مع ما يرمي إليه من معانٍ يطرح فيها الظاهر، ويجري في صياغته على أمور اعتبارية يقتضيها الحال، وهي دليل ثراء هذه اللغة وعبقريتها ومرونتها وشجاعتها، وقدرتها على إفادة دقيق المعاني في أوجز لفظ وأخصره؛ فينشأ عن العدول ما لا تغني الصفحات في إفادة ما أفاده من أسرار ومعانٍ.

هذا العدول يدفع المتلقي إلى البحث في أحوال الكلام لإيجاد سر يربط المقال بالمقام، ولا يلطف العدول إلا إذا كان من خبير بدروب الصياغة، وفنون التعبير، ومطاوي النفس، فيقع موقعه، يقول الإمام عبد القاهر: "وكلُّ ما كان فيه، على الجملةِ، مَجازٌ واتساعٌ وعُدُولٌ باللفظ عن الظاهر، فما مِنْ ضَرْبٍ من هذه الضُّروب إلاَّ وهو إِذا وقَعَ على الصواب وعلى ما يَنْبغي، أوْجَبَ الفضْلَ والمزيَّةَ" [١].

فالعدول يحسن من الخبير الذي يعدل بكلامه عن مقتضى الظاهر إلى ما يطابق مقتضى الحال؛ لإبراز المعنى الذي يريده، حينها يكون موضع مزية وفضل، ودليل نبوغ ومهارة في صياغة الكلام، أما إذا لم يراع

---

[١]) دلائل الإعجاز، ص ٤٣٠.

المتكلم مقتضى الحال في كلامه، وعدل عن مقتضى الظاهر دون مناسبة توجبه، أو نكتة تقتضيه خرج كلامه عن حد البلاغة.

والعدول خروج عن الأصل الواجب في ترتيب الألفاظ على وفق المعاني، ونظم الكلام في سياق واحد؛ لغاية، وهو وسيلة من الوسائل التي يسلكها المتكلم للوصول إلى المعنى المراد، وعلى المتلقي أن يبحث في هذا الكلام ناظرًا إلى هذا العدول، مفتشًا عن مطابقته لمراده.

كما أنه ليس لنا في درسنا للعدول أن نغفل العناية بمقتضى الظاهر؛ فالمعنى لا يتوصل إليه إلا عن طريق الظاهر، لكن تمام المعنى الذي يرمي إليه المتكلم بصياغته لا يكون إلا بالاعتداد بالعدول عن الظاهر الذي نشأ عن مراعاة مقتضى الحال.

إن العدول يكون عن ما يقتضيه الظاهر إلى ما يقتضيه الحال لا عن ما يقتضيه الحال؛ لأن خروج الكلام عن ما يقتضيه الحال خروج عن حد البلاغة، ومقتضى ظاهر الحال أخص مطلقًا من مقتضى الحال، فكل مقتضى الظاهر مقتضى الحال، ولا عكس، فإخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، يكون خروجًا إلى مقتضى الحال لا عنه، ولا يكون على مقتضى الظاهر، وقد أبان الأستاذ الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي الفرق بين مقتضى الظاهر، ومقتضى الحال في تعليقه على كتاب الإيضاح بقوله: "والحال هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام مكيفًا بكيفية مخصوصة سواء كان ذلك الأمر الداعي ثابتًا في الواقع، أو كان ثبوته بالنظر لما عند المتكلم كصور التنزيل، أما ظاهر الحال فهو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام مكيفًا بكيفية مخصوصة بشرط أن يكون ذلك الأمر الداعي ثابتًا في الواقع؛ فلذا كان أخص من الحال مطلقًا، ثم إن تلك الكيفية هي مقتضى للحال أو

لظاهره، فكل كيفية اقتضاها ظاهر الحال اقتضاها الحال دون عكس، فعموم المقتضى يقتضي عموم المقتضى"[١].

وصور العدول عما يقتضيه الظاهر كثيرة، وهي شعبة من شعب البلاغة يظهر بها جمال المعنى، وإحاطته بالأحوال التي يقتضيها الحال، وهي مواطن دقيقة لا يهتدي إلى مواقعها إلا يقظ الحس، متوقد الذهن، ذكي النفس، كثير التأمل، الفطن الواعي بأسرار الكلام، وقد وقف البلاغيون بالدرس عند بعض صور العدول، كما في الصور التي يأتي عليها الخبر من حيث التوكيد وعدمه، والالتفات، ووضع المضمر موضع المظهر والعكس، والتعبير بالماضي عن المضارع والعكس، والتعبير بالخبر في موضع الإنشاء والعكس، والقلب، وأسلوب الحكيم، وأغفلوا في درسهم للعدول كثيرًا من صور العدول، منها العدول عن فعل إلى فعل، وعن اسم إلى اسم، وعن حرف إلى حرف، وقد عده أستاذنا الدكتور الخضري من باب الخروج على خلاف مقتضى الظاهر، ودعا إلى ذلك بقوله: "وحبذا لو جعلنا وقوع الحرف في غير موقعه من باب خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وصرفنا الهمم إلى البحث في أسباب هذا الخروج وأغراضه"[٢]، فالعدول عن حرف إلى حرف يرتبط بغرض يرمي إليه المتكلم من كلامه، ولا يفي بهذا الغرض، ويفصح عن مقصد المتكلم إلا الحرف المعدول إليه.

---

[١]) الإيضاح، للخطيب القزويني (ت: ٧٣٩ هـ)، ١/٧١، ت: د/ محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر/ دار الجيل ــ بيروت ــ، ط/الثالثة.

[٢]) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، ص ٦، الناشر، مكتبة وهبة، ط/ الثانية، ١٤٣٧ هـ، ٢٠١٥ م.

وكذا عدَّ العدول عن الواحد إلى الجمع والعكس من باب خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، فيقول: "والعدول عن الواحد إلى الجمع، أو مخاطبة الجماعة بخطاب الواحد هو لون من التصرف في الصيغ، وفن من فنون الخروج عن ظواهر الأحوال، يفجأ القارئ بما يفتح باصرته على لون من سامق البيان، ويفتح بصيرته على أقباس من أسرار الإعجاز، ويلقي في ذوقه شوبًا من بلاغة النظم الحكيم"[١].

ويغري الباحثين بهذا اللون من الدرس البلاغي، فيقول: "هذا الفن من فنون المجاز، وهذا الضرب من ضروب الإيجاز، وذلك اللون من ألوان الخروج على خلاف ظواهر الأحوال، أين حظه في حقل الدراسة البلاغية؟ وهذا الفيض من أسرار الإعجاز ما نصيبه من الدراسات القرآنية؟"[٢]، ومثل هذه البحوث ستفتح أبوابًا للدارسين، وستفضي إلى أسرار لا تتناهى.

إن مثل هذه الألوان من العدول قد عني بها المفسرون، ووظفوها في الإبانة عن معاني القرآن الكريم، غير أنها إشارات ولفتات في كتبهم تحتاج إلى جهد من البلاغيين لاستخراجها، واكتشاف دقائقها وأسرارها.

وجمال العدول من اسم إلى اسم يكمن في أنه يأتي على خلاف ما يترقبه السامع؛ إذ يتوقع السامع لآيات مملوءة بالرهب والوعيد مثلًا أن يكون الاسم الموضوع لهذه المعاني من أسماء الله الحسنى الجبار، فيأتيه النظم بالرحمن المملوء بالرحمة والتجلي بالمغفرة في مفاجأة غير متوقعة،

---

[١]) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن، ص ٤، الناشر، مطبعة الحسين الإسلامية، ط/ الأولى، ١٤١٣ هـ،١٩٩٣ م.

[٢]) السابق، ص ٥.

لا يفضي إليها ظاهر النظم، مما يدفع السامع لمزيد من التأمل والتدبر إلى أن يصل بمراعاة مقتضى الحال، والتمعن في أعطاف الكلام، والتسمع لهمس سياقه إلى أن الأنسب والأليق بالمقام هو التعبير باسم الله الرحمن، وأن هذا الانتقال من اسم يشي به الظاهر إلى اسم آخر يرمي لمعنى مراد، لا يتم هذا المعنى إلا بذكر هذا اللفظ الذي جاء على غير وفق تنبأ القارئ؛ فيقف مبهورًا من هذا الإحكام الدقيق، والإتقان العجيب في وضع اللفظ موضعه الأخص، واصطفاء اسم على اسم كلاهما موضوع للذات الإلهية.

ولعل البلاغيين لم يصرحوا بجعل اسم مكان اسم من باب الخروج على خلاف الظاهر؛ إلا أن كتب التفسير تشير إلى ذلك، وتقف عند أسراره، وتجعله من باب العدول صراحة، ففي تراثهم: وعدل عن البحر إلى اليم، وعن العدل إلى القسط، وعن الفلك إلى الجوارِ، وعن الشر المقابل للخير إلى الضر، وعن الرب إلى اسم الجلالة، وعن الجميع إلى الجمع، وعن الباطل إلى غير الحق، وعن الرحيم إلى ذو الرحمة، وعن يا أخي إلى ابن أم، وعن القرآن إلى الكتاب، وعن اسم الجلالة إلى ذي العرش.

وقد أشار أستاذنا الدكتور محمد أبو موسى إلى عدِّ ذلك من باب الخروج على مقتضى الظاهر، بقوله: "فكلمة «الرحمن» لا تتلاءم في الظاهر مع الخشية، وانما يكون التلاؤم ظاهرا لو قال: من خشي الجبار أو القهار، ولكن الزمخشري يدرك وراء هذا التباعد الظاهري تقاربًا خفيًّا ملائمًا أشد الملاءمة وأحسنها"[(١)].

[(١)] البلاغة القرآنية في تفسير للزمخشري وأثرها في الدراسات القرآنية، ص٢٦٢.

إن التعبير باسم الله الرحمن في هذه السياقات القرآنية الآتية في مباحث ومطالب هذه الدراسة جاء على خلاف ما يقتضيه الظاهر، ويترقبه السامع، فحق السياق في الظاهر التعبير باسم كذا، إلا أن النظم القرآني آثر التعبير بالرحمن لسر يدرك بالتأمل، وإمعان النظر، وفائدة هذا العدول إيقاظ حس السامع، وإثارة انتباهه، وحثه على الإصغاء والتأمل في سياق الكلام.

هذا العدول تتنامى به المعاني وتتكاثر دون أن يزيدك القرآن الكريم في لفظه، غاية الأمر أن يضع اسم الله الرحمن موضع الجبار مثلًا؛ ليحيل القضية كلها فينقلها من باب القهر والرهب والجبروت إلى رحاب الرحمة الواسعة، ومن باب الاستحقاق للمؤمنين إلى رحاب الفضل والمنة، فيصحح العدول كثيرًا من التصورات عند المتلقي، فلا يظنن ــ مثلًا ــ أن ملكه قهر، أو عذابه انتقام، بل يدرك أن كل ذلك يدور في فلك رحمته الواسعة، كل ذلك دون أن يزيد في العبارة شيئًا سوى وضع الرحمن موضع غيره.

ولا يمكننا ذكر ضابط للعدول بدقة لاستعمال اسم الله الرحمن موضع آخر؛ لأن كل موضع من مواضعه له أسرار خاصة به، ويهمس بلطائف لا يهمس بها في مقام آخر.

إن هذه الدراسة في مباحثها ومطالبها الآتية تبحث عن أسرار العدول عن أسماء الله الحسنى إلى اسم الله الرحمن في نظرة متأنية دقيقة تحاول أن تبرز حكمة النظم، وتستلهم الفروق بين الأسماء الحسنى ودلالاتها.

المطلب الأول

وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (الله) في مقام الخشية

الخشية: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه؛ ولذلك خص العلماء بها في قوله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، قصرت خشيته عليهم؛ لمعرفتهم بصفات جلاله وكماله، وهي أشد من الخوف؛ والخشية تكون من عظم المخشي، وإن كان الخاشي قويًّا[١]، فالخشية يذكر معها ما ينبئ عن القهر نحو: الله أو القهار أو الجبار أو العزيز؛ لتكون أتم وأكمل؛ لما لهذه الأسماء من الجلال والهيبة؛ ولذلك قرن في القرآن الكريم كثيرًا باسمه تعالى (الله) ذي الجلال والكمال والهيبة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ﴾ [النساء: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، ولا يتلاءم معها في الظاهر أن يذكر معها ما ينبئ عن الرحمة التي تورث الاتكال والرجاء، وإنما يكون التلاؤم ظاهرًا مع الجبار أو القهار، فالظاهر يوميء بالتباعد، ولكن التأمل والتمعن والتسمع لهمس السياق يعطي تقاربًا وملاءمة على أحسن وجوه الملاءمة وأقواها.

---

[١]) ينظر: المفردات، ١٤٩/١، والكليات، ٦٧٢/١.

وقد وردت الخشية مع اسم الله(الرحمن) المستدعي للرحمة التامة، لا للخوف والخشية في الظاهر، والرحمة مقابلة للخشية لا متناسبة معها؛ حتى تذكر معها في سياق واحد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ق: ٣٣].

الموضع الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ ﴾ [مريم:١٨].

سياق الآية هو الحديث عن دخول سيدنا جبريل ــ عليه السلام ــ على السيدة مريم ــ عليها السلام ــ دون استئذان ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾ [مريم: ١٧] في صورة شابٍّ حسنِ الوجه، مما أثار مشاعر الخوف والقلق في نفسها، فتعوذت بالله منه؛ ليدفعه عنها.

وجاء التعبير باسم الله (الرحمن) حكاية عن السيدة مريم ــ عليها السلام ــ في مقام ترهيب جبريل ــ عليه السلام ــ وإدخال المهابة في قلبه من الله ــ جلَّ جلالُه ــ لعلة اقتضاها الحال، وتطلبها السياق نبحث عنها؛ إذ لا مناسبة ظاهرة لذكر الرحمة بمعناها الحقيقي هنا، فقد كان مقتضى ظاهر الحال أن تذكر في استعاذتها اسم الجلالة (الله) الذي يدخل الروع في ضمير السامعين، ولكنها عدلت إلى الاسم الذي يدل على سعة رحمته ــ جلَّ وعلا ــ دون الأسماء الدالة على ألوهيته وقهره وجبروته، وتعليل ذلك يكمن في جملة الشرط التي تأتي بعد، وهي قوله: ﴿ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾؛ أي: إنْ كنتَ تقيًّا، تتقي محارم الله، وتجتنب معاصيه، فستنتهي

لتعوذي بالله منكَ، والتقي لا يحتاج في ترهيبه وإفزاعه إلى ذكر جلال الألوهية، ولا قوة أخذ العزيز المقتدر، وإنما إذا وعظ اتعظ وخاف، ويكفيه أن يُذَكَّرَ بأي اسم من أسماء الله وصفاته، حتى ولو كانت بعيدة عن المؤاخذة والعقاب، كاسم الله (الرحمن) فإذا به ينتهي عما شرع فيه من معصية، ومثله قول الله عز وجل عن المتقين: ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ق: ٣٣]، فإذا كان ذكر الرحمن يوجب ترهيبه وإفزاعه؛ فإن ذكر الله والجبار والقهار يوجب ذلك وزيادة، فمن خاف الله وأقلع عن معاصيه مع علمه بسعة رحمته، فإن خوفه منه مع علمه بعظيم سطوته يكون أشد.

ولولا جملة الشرط: ﴿ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ لما كان للاستعاذة تأثير، حتى لو استعاذت بكل أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، فالاستعاذة والتخويف لا يؤثران في الفاجر، وإنما يؤثران في التقي؛ فلذا فإن الفاجر لا يرعوي لنصح، ولا ينتهي عن ذنب.

ويمكن أن يكون التعبير باسم الله (الرحمن) استعطافًا وتلطفًا في دفعها، ومن أبدع ما قيل في هذا ما قاله الإمام ابن كثير، وإن لم يلمح إلى العدول في التعبير إلى اسم الله (الرحمن): «فقالت: ﴿ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ ؛ أي: إن كنت تخافُ الله، تَذْكيرٌ له بالله، وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل، فخوفته أَوَّلًا بالله ــ عزَّ وجلَّ ــ»[1]، فسلكت معه سبيلًا لطيفًا يعتمد على الحكمة، فخوّفته باسم الله (الرحمن)،

---

[1]) تفسير ابن كثير، ٥/٢٢٠.

ولا يخفى أن تذكيره باسم الله (الرحمن) أسهل من تذكير باسم الجلالة (الله)، وقد أجابها سيدنا جبريل ــ عليه السلام ــ بلطف يناسب لطفها في عبارتها؛ ليهدئ من روعها، ويزيل خوفها، فقال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم: ١٩]، فعبر باسم الرب المقتضي للإحسان والتربية والتعهد؛ لطفًا بها، ومن أسرار التعبير باسم الله (الرحمن) إظهار منها لحسن الظن به، قال البقاعي: «ولما تفرست فيه – بما أنار الله من بصيرتها وأصفى من سريرتها – التقوى، ألهبته وهيجته للعمل بمضمون هذه الاستعاذة»[1].

ومما ألمح إليه أهل العلم أنها ذكرت اسم الله (الرحمن) لأنها أحوج صفة من صفات الله إليها في هذه الساعة، فهي تلوذ برحمته، وتلجأ إليها، وتستغيث بها من الناس، وتستجلب آثارها؛ لتعصمها مما نزل بها، وتنجيها من شدتها[2]، أو استثارة وتذكير له بصفة الرحمة؛ ليرحم ضعفها، وعجزها عن دفعه، فيبتعد عنها[3]، أو ذكرته بالرحمن؛ الذي منحه ما هو

---

[1]) نظم الدرر، ١٨٤/١٢.

[2]) ينظر: إرشاد العقل السليم، ٢٦٠/٥، التحرير والتنوير، ٨١/١٦، زهرة التفاسير، ٤٦٢٢/٩.

[3]) ينظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، لمحمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (ت: ١٣١٦هـ)، ت: محمد أمين الصناوي، ٥/٢، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت –، ط: الأولى/ ١٤١٧ هـ، وتفسير الشعراوي، (الخواطر)، لمحمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨ هـ)، ٩٠٥٦/١٥، ط/ مطابع أخبار اليوم، والوسيط، ٢٤/٩.

فيه من تمام النعمة، وكمال العطاء، كما قال المولى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: ١٧].

فتعليل ذكر (الرحمن) باستجلاب آثار الرحمة الإلهية يكون خطابًا غير مباشر موجه إلى الله ــ تعالى ــ وتعليله بأنه تذكير للمخاطب بالرحمن، وإثارة مشاعره؛ لينزجر يكون خطابًا مباشرًا، وأولاهما في مقامها هو الخطاب المباشر مع من يواجهها.

ثم أكملت حسن وعظها، ولطف عباراتها في تذكيرها له بتقوى الله بقولها: ﴿ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ فقيدت فعل الشرط بأن التي تفيد تقليل وقوع الفعل؛ لأنها لا تعلمها منه إلا بقدر ما يدعيه لنفسه، فسلمت له بما يدعيه، وذكرته به؛ لحثه عليها، والتعبير بفعل الكون، والاسم تقيًّا يشيران إلى تلبسه بالتقوى واستقرارها فيه، قال الطاهر بن عاشور: "ومجيءُ هذا التَّذكير بصيغة الشرط المؤذن بالشَّكِّ في تقواه قصدٌ لتهييج خشيته، وكذلك اجتلاب فعل الكون الدَّالِّ على كون التَّقوى مستقرَّةً فيه، وهذا أبلغ وعظٍ وتذكيرٍ، وحثٍّ على العمل بتقواه"[١].

الموضع الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [يس: ١١].

جاءت الآية في سياق التعريض بالكافرين المعاندين الذين لا يخافون الإنذار، ولا تجدي معهم الموعظة، بل يستوي عندهم الإنذار وعدمه؛ فلذا

---

[١]) التحرير والتنوير، ٨١/١٦.

حكم الله عليهم بأنهم لا يؤمنون، ولا يجدون إلى الهدى سبيلًا أبدًا، ثم جاء الذكر الحكيم بصنف من الناس يجدي معه الإنذار، وتنفعه الذكرى، وهو: ﴿ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ ﴾ فهذا الصنف هو الذي يوجه إليه الإنذار والوعظ.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ﴾ إنذارًا يجدي، ووعظًا يشفي، تترتب عليه الفائدة، ويؤمن به المنذر إذا كان ممن ﴿ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ ﴾؛ أي فتح قلبه للحق، واستجاب له، هذه الصفة الأولى صفة مدح وترفيع لشأن هذه الطائفة، التي جعلت خطاها؛ أي: عملها على هدي القرآن الكريم، فامتثلت أوامره، واجتنبت نواهيه، ثم جاءت الصفة الثانية وهي: ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ ﴾ لزيادة ترفيع شأن هذه الطائفة التي يكفيها في الاتعاظ التذكير بإنعامه وأفضاله؛ إذ إنها بلغت في الخشية مبلغًا عظيمًا، فوصلت لأعلى مقاماتها، فهي تخشى ربها مع علمها بسعة رحمته، وجميل عفوه، خشية إجلال وتعظيم، وحب وتوقير، لا حذرًا من غضبه وقهره، أو خوفًا من عقابه وجبروته وانتقامه، ولهذا عبر باسم الله (الرحمن) دون القهار أو المنتقم؛ للدلالة على كمال الخشية، ولعظيم إجلالها لله فهي تخشاه في حال الغيب والشهادة؛ أي: في سريرتها وعلانيتها، أو في حال غيب المولى عنه؛ فإنها لم تره، أو كما قال البيضاوي: "خاف عقابه قبل حلوله ومعاينة أهواله"[1]، موقنًا أنه ــ سبحانه ــ قادر على جميع أنواع العقوبات؛ فلذا قصر المولى نفع الإنذار والتذكرة والاعتبار عليهم في أكثر من آية، قال

---

[1]) تفسير البيضاوي، ٤/٢٦٤.

تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾ [طه: ١ – ٣]، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ [فاطر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [يس: ١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ۝٢٦﴾ [النازعات: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ۝٤٥﴾ [النازعات: ٤٥].

وذهب جمع من العلماء إلى أن الخشية من الرحمن تكون أعظم؛ لأن من كانت نعمته بسبب رحمته فالخوف منه أتم؛ خوفًا من قطع إمداده ونعمه، أو لا يغتر برحمته، فكما أنه رحمن فهو منتقم قهار، فهو يخشاه خوفًا من أن يسلبه ما أنعم به عليه[١].

وذهب جمع إلى أن ذكر الخشية مع تعقيبه باسم الله (الرحمن) إشارة إلى أن قهره مقرون بلطفه؛ يعني: مع كونه ذا هيبة لا تقطعوا رجاءكم، ومع كونه ذا رحمة لا تأمنوه[٢].

---

[١]) ينظر: مفاتيح الغيب، ٢٥٧/٢٦، وتفسير البيضاوي، ٢٦٤/٤، والبحر المحيط، ٥١/٩، وإرشاد العقل السليم، ١٦١/٧، روح البيان، ٣٧٤/٧، ومراح لبيد، ٢٨٥/٢.

[٢]) ينظر: مفاتيح الغيب، ٢٥٧/٢٦، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان = تفسير النيسابوري، لنظام الدين الحسن بن محمد ابن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، ت: الشيخ زكريا عميرات، ٥٢٦/٥، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى – ١٤١٦هـ.

الموضع الثالث:

قال تعالى: ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ق: ٣٣].

هذه الآية جاءت في نسق آيات تتحدث عن إعداد الله الجنة للمتقين من عباده، وتقريبها لهم لوعد الله إياهم بها، ثم ذهبت الآيات تحدثنا عن صفات المتقين الذين أزلفت لهم الجنة وهم الأوابون الذين يكثرون الرجوع إلى الله، الحافظون لحدود الله، الذين يخشونه، وجاءوا إليه بقلوب منيبة.

ثم أتى بأعلى أوصافهم وهو أنهم يخشون الرحمن، فكان التعبير باسم الله (الرحمن) في هذا المقام مدح لهذه الطائفة وتنويه بشأنها؛ إذ تمكنت الخشية من الله في قلوبهم، واستولت على نفوسهم؛ حتى بلغت مبلغًا عظيمًا، فصاروا لا يخشون ألوهيته وقهره وجبروته، بل صاروا يخشونه مع علمهم بسعة رحمته، فلم تمنعهم الرحمة الخوف من عظمته ــ سبحانه وتعالى ــ قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف قرن الخشية اسمه الدال على سعة الرحمة؟ قلت: للثناء البليغ على الخاشي، وهو خشيته، مع علمه أنه الواسع الرحمة، كما أثنى عليه بأنه خاش، مع أنّ المخشي منه غائب، ونحوه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات»[1]، وما دام يخشاه وهو يستحضر رحمته، فخشيته مع استحضار غيرها من صفاته ــ جل وعلا ــ أعلى.

أما الإمام الرازي فقد جعل التعبير باسم الله (الرحمن) إشارة إلى مقتضى الخشية لا المانع منها؛ لأن الرحمن هو واهب الوجود، وواهب

---

[1]) الكشاف، ٤/٣٩٠.

البقاء، وما دام هو مانح الوجود ومانح البقاء؛ فإنه ينبغي أن يخشى؛ لأن من بيده الوجود بيده العدم[١].

وذهب ابن جزي الغرناطي إلى احتمال أن يكون الجواب عن ذلك: أن الرحمن صار يستعمل استعمال الاسم الذي ليس بصفة، كقولنا: الله[٢].

والنظر المتمعن في الآية يؤيد ما ذهب إليه الإمام الزمخشري؛ إذ إنه يعطينا تصورًا عن هذه الطائفة التي ارتقت في إجلالها لله وخوفها منه إلى خشيته وهو الخوف المقرون بالتعظيم، خوف يقارب الهيبة، ثم أثبت المولى لهم هذه الصفة على جهة التحقيق بالتعبير بالفعل الماضي، ثم الإيماء بأنه يخشى الرحمن، فلا يصدهم علمهم برحمته عن خشيته، ولا أطمعهم فيها، فتركوا خشيته، واجترأوا على معاصيه، وإثبات الخشية لهم للرحمن توجب خشيتهم من الله والجبار والقهار، فهذه الصفات أعلى في جانب المخشي منه، فإذا ثبت وجود الخشية مع الرحمن ــ وهي أدنى في استلزام الخوف من صفات الألوهية والقهر والجبروت ــ استلزم ذلك ثبوتها للأعلى وهو الله والقهار والجبار، فإثبات الأدنى يستلزم إثبات الأعلى وزيادة، فقمة الخوف وأعلاه أن يخاف الإنسان من الرحمن مع استحضار ما له من رحمة بالغة.

---

[١]) ينظر: مفاتيح الغيب، ١٤٧/٢٨.

[٢]) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، ت: الدكتور/ عبد الله الخالدي، ٣٠٤/٢، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت –، ط: الأولى ١٤١٦هـ.

فقمة الخشية هي خشية الرحمن، وقمة الجرأة هي الجرأة على (الله)؛ ولذا ذم الله الكافرين بقوله: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]؛ حيث لم تحملهم الألوهية التي ينبئ بها اسم الجلالة (الله) وما فيها من العظمة على خشيته والخوف منه، وقوله:﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، فذكر الله؛ للإشارة إلى ذم الجاهل الذي لا يخشاه مع قيام المقتضى وهو الألوهية وعدم المانع وهو الرحمة[١].

﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ ووصفه بأنه يخشاه بالغيب، وفي هذا بيان لبليغ خشيته؛ أي: خشيته له لم يطلب لها آية أو أمرًا يصل به إلى حد المعرفة التامة بما له من جلال وكمال وهيبة توجب خشيته، بل استغنى بالبراهين التي تدله على أنه مربوب، فلا بد له من رب[٢]، أو حال كون وعيده وعذابه غائبًا عنهم، أو يخشاه في حال غيبه؛ أي: خلوته حيث لا يراه أحد، وهذه قمة الخشية، أما خشية الله حال وجود الناس فقد تكون رياء.

وقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾ صفة مدح أخرى؛ أي: لم يهرب ويترك القرب من الله، بل جاء متلبسًا بخشيته، ولم يذهب كما يذهب العبد الآبق[٣].

---

[١]) ينظر: مفاتيح الغيب، ١٤٧/٢٨.

[٢]) ينظر: نظم الدرر، ٣٩٠/٤.

[٣]) ينظر: مفاتيح الغيب، ١٤٧/٢٨.

وننتهي إلى أنه عظم مقامهم في الخشية بأمور هي: إثبات خشيتهم، وخشيتهم مع علمهم بواسع رحمته، ومن كون الخشية مع الغيب.

وقد أثنى الله على طائفة تخشاه وتذكر جلاله في سورة الملك بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢ ﴾ [الملك: ١٢]، فعدل القرآن الكريم عن الاسم الذي يتلاءم ملاءمة ظاهرة مع الخشية إلى اسم يتلاءم ملاءمة تامة حسنة مع مقتضى الحال؛ إذ إن المولى أراد الثناء على هذه الطائفة، فقال: إنهم يخشونه مع إحسانه، وللإمام البقاعي كلام رائق جدًا في هذا الموطن أحببت أن أنقله له؛ إذ يقول: "وعدل عن سياق الجلالة الجامع إلى صفة الإحسان؛ تنبيهاً على أنهم غلب عليهم النظر إلى الإحسان فقادهم إلى الشكر مع ما نبهت عليه الخشية من اتصافهم بالفرق الذي أداهم إلى الذعر، فقال: (ربهم) الذي أحسن إليهم بتطويرهم بما جعل لهم من الأسباب في أطوار الخير، وإذا كانوا يخشونه مع نظرهم إلى صفة إحسانه، فما ظنك بهم عند النظر إلى صفات انتقامه؟!"[١].

[١]) ينظر: نظم الدرر، ٧٤/٨.

المطلب الثاني

وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (اللّه) في مقام الامتنان بإنزال القرآن الكريم

تحدث المولى ــ سبحانه وتعالى ــ عن الامتنان بإنزال القرآن الكريم في مواطن متعددة، فنسب إنزاله إلى ذاته ــ سبحانه ــ ولكنه غاير بين الأسماء التي أجراها على ذاته، فنسب إنزال القرآن الكريم إلى الله، وإلى رب العالمين، وإلى العليم، والعزيز، والحكيم، والخبير، والحميد، والرحمن، والرحيم، جاء النظم القرآني بجميع ذلك في سور: البقرة، وهود، والسجدة، ويس، والزمر، وغافر، وفصلت، والجاثية، والأحقاف، والواقعة، والحاقة، ولكل اسم منها مقام يناسبه، يبحث عن ملاءمته لسياقه الذي ورد فيه، وسر ارتباط الاسم بالسورة التي ورد فيها.

ومجيء النظم باسم (الرحمن) في سياق الحديث عن إنزال القرآن الكريم أو تعليمه يستدعي الوقوف والتأمل، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٥]، وقال تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ [فصلت: ٢]، وقال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن: ١ – ٤]، والرابط بين السور الثلاث التي جاء إضافة التنزيل فيها إلى الرحمن هو اشتمالها على البشارة والنذارة.

الموضع الأول:

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ۝٥ ﴾ [الشعراء: ٥].

الآية في مطلع سورة الشعراء، وفيها تسلية من المولى لنبيه ﷺ لحزنه على عدم إيمان قومه، قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣ ﴾ [الشعراء: ٣]، ثم بيّن المولى لنبيه ﷺ أنه إن شاء بقدرته أخضع أعناقهم لآية ينزلها عليهم، فيؤمنوا بها، قال تعالى: ﴿ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ ﴾ [الشعراء: ٤]، ولكن الله ــ سبحانه ــ برحمته يمهلهم، ويوالي عليهم آياته، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ۝٥ ﴾.

وفي التعبير باسم الله (الرحمن) ــ الذي تحيط نعمه بهم ــ تفظيع لكفرهم، وتقبيح لإعراضهم، وبيان لشدة المفارقة بين إنعام الله عليهم ورحمته بهم بتجدد إنزال الذكر، وكفرهم به، وإعراضهم عن آياته، ولبيان أن ما يأتيهم به من الآيات والتذكير المتجدد من آثار رحمة الله بهم، كما أنه يحمل في طياته الرحمة بهم؛ إذ إنه من الرحمن، الذي لا يكون منه إلا ما فيه رحمة ونعمة وخير، وليس لإعناتهم، أو المشقة عليهم، ولكنهم مع ذلك يعرضون، فأي شقاء وضلال كانوا يعيشون فيه؟!، يقول أبو السعود: "والتعرض لعنُوان الرَّحمةِ؛ لتغليظِ شناعتِهم، وتهويلِ جنايتِهم؛ فإنَّ

الإعراضَ عمَّا يأتيهم من جنابِه ــ عزَّ وجلَّ ــ على الإطلاقِ شنيع قبيحٌ، وعما يأتيهم بموجبِ رحمته ــ تعالى ــ المحض منفعتِهم أشنعُ وأقبح"[1].

وقوله: ﴿مُحۡدَثٍ﴾؛ أي: متجدد؛ لتكرير التذكير، يبين عن مدى رحمة الله بهم، يجدد لهم الآيات، آية بعد آية، حسب النوازل والوقائع، فيقابلونها بالنقيض وهو المداومة والثبات على الإعراض، وهذا غاية القبح والجهل، يفهم هذا من التعبير بفعل الكون ﴿ كَانُواْ﴾ الذي يفيد ثباتهم على الإعراض، وكأنه خلق ثابت لهم، وتقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ﴾ يفيد القصر، وهو قصر ادعائي يجعل همتهم مصروفة إلى الإعراض عنه؛ حتى عُدَّ إعراضهم عن غيره في منزلة العدم، والتعبير بالاسم ﴿مُعۡرِضِينَ﴾ الذي يفيد الثبات والدوام، يجعل الإعراض صفة لازمة لهم، وقارن بين قولنا: إلا أعرضوا، وما جاء به النظم القرآني؛ لتدرك إلى أي مدى بلغوا في إعراضهم حتى صار صفة راسخة فيهم، قديم ومستمر.

وقد جاء نظير هذه الآية في مطلع سورة الأنبياء، وجاء التعبير فيها باسم الرب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢ ﴾ [الأنبياء: ٢]، وسر المغايرة في التعبير أن آية الأنبياء جاءت في موقف الترهيب والوعيد والحديث عن الناس عامة مما لا يناسبه إيراد اسمه ــ جلَّ وعلا ــ الرحمن الذي يدل على عموم رحمته، فقد تقدم هذه الآية قوله تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ

---

[1]) إرشاد العقل السليم، ٦/٢٣٤.

﴿فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء: ١]، أما آية الشعراء فالحديث فيها تتجلى فيه معاني الرحمة من قبل الرحمن جلَّ في علاه؛ إذ إنه يؤنس نبيه ﷺ ويسليه عن إعراض قومه، ويبين أن إمهاله لهم؛ حتى يؤمن منهم من يؤمن هو من مظاهر رحمته.

وقيل: خص (الرحمن) بالذكر؛ لتسلية رسول الله ﷺ وتشنيع على المعرضين، وتعريض بغباوتهم، وقطع لرجاء رسول الله ﷺ في إيمانهم، وتقريره: أنهم بلغوا في الغفلة والإعراض مبلغًا كبيرًا؛ حتى إنهم يعرضون عما هو رحمة لهم، وفيه صلاحهم، فلا تذهب نفسك حسرات على قوم أضاعوا ما ينفعهم[1].

الموضع الثاني:

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ١ – ٤].

هذه الآيات مطلع سورة (الرحمن) التي يتحدث فيها عن مظاهر متعددة من مظاهر رحمته بعباده في الدنيا والآخرة؛ لذا ورد فيها وتكرر إحدى وثلاثون مرة قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ [الرحمن: ١٣]، وآياتها حوت حديثًا عن جهنم التي يكذب بها المجرمون، والنعمة التي يمتن بها المولى هنا هي الإنذار بها؛ ليتنبه الإنسان ويحذر منها، ولبيان أن النجاة منها تكون بمحض فضل الله ورحمته.

---

[1]) ينظر: التحرير والتنوير، ١٩/ ٩٨.

وجاءت سورة الرحمن عقب سورة القمر التي تكرر فيها امتنان الله بتيسير القرآن للذكر، بقوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧]، وفيها حديث عن مصارع الغابرين المكذبين، وهم قوم نوح، وعاد، وثمود، ولوط، وفرعون، ومنها قوله:﴿ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [القمر: ٤٢]، وختمها المولى بقوله: ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٥]، ثم قال: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴿١﴾ ﴾ للإشارة إلى أن تيسير القرآن للذكر، والتخويف بذكر هلاك المكذبين؛ حتى نجتنب أفعالهم، وملكه واقتداره كل ذلك مظهر من مظاهر رحمته جلَّ وعلا.

وصدر السورة باسم الله (الرحمن) الدال على سعة رحمته، وعموم إحسانه، وجميل فضله؛ للتنبيه من أول الأمر على أن كل ما يرد من مظاهر العطاء الدنيوي والأخروي في السورة من مظاهر رحمته وفضله، فلا يجب لأحد عليه شيء، ولا استحقاق لأحد من البشر لأيٍّ من مظاهر عطائه.

فمن رحمته انبثقت جميع النعم، يقول البقاعي: "ولذا ذكر في هذه السورة أمهات النعم في الدارين"[1]، وللتنبيه على هذا المعنى سميت السورة باسم (الرحمن).

ولما كان القرآن الكريم أجلّ النعم شأنًا، وأرفعها قدرًا، بل هو أصلها، فهو أصل الدين صدر الله إنعامه بتعليمه الإنسان، فقال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ

[1]) نظم الدرر، ١٤١/١٩.

﴿ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ﴾؛ للإشارة إلى كمال رحمته بالقرآن الكريم، وعظيم إحسانه به؛ إذ منَّ به، وعلمه الناس.

وأبان البقاعي عن الصلة بين مليك مقتدر والرحمن وتعليم القرآن، بأن المليك المقتدر والرحمن كلاهما له حظ ونصيب من القرآن، فالمليك المقتدر بدت قدرته في إعجاز القرآن، فتكلم بما يعجز خلقه من كل جهة: في الفهم والحفظ والإتيان بمثله، وكل معنى من معانيه، والرحمن بدت رحمته في تعليم خلقه كلامه، وتيسيره لهم.

ولا شيء من القدرة أبلغ، ولا أدل على القدرة من إيصال بعض صفات الخالق إلى المخلوق، فالقرآن صفة الله، وصفته ذاته تماثله في العظمة، فكما لا يدرك كنه ذاته أحد من خلقه؛ لأنها غيب، فيكون القياس ألا يعلم أحد شيئًا من كلامه إلا بقدرته ورحمته، فدل بتعليم القرآن أنه يعلم من شاء ما شاء[١].

ووجه ذكر قوله: ﴿ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ ﴾ بعد قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ ﴾ أن تعليم القرآن الكريم من أعظم الدلائل على كمال رحمته، وأثرها على خلقه، قال القشيري: "برحمته علمهم القرآن، فبرحمته وصلوا إلى القرآن، لا بقراءة القرآن يصلون إلى رحمته"[٢].

---

[١]) ينظر: نظم الدرر، ١٩/١٤٠.

[٢]) لطائف الإشارات، ٣/٥٠٣.

المطلب الثالث

وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (الله) في مقام الحديث عن المؤمنين

ورود اسم الله (الرحمن) في مقام الحديث عن المؤمنين في سياق الحديث عن أو صافهم، أو جزائهم، أو جريًا على ألسنتهم، وهذا في ظاهره يتناسب تمام التناسب؛ إذ إن رحمة الله مع المؤمنين أمر قد قطع الله به في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦]، إلا أن عدم التناسب الظاهري؛ لورودها في مقام الجزاء للمؤمنين على أعمال ظاهرها استحقاق المؤمنين الجزاء عليها.

الموضع الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [مريم: ٢٦].

جاءت هذه الآية في سياق قصة مريم ــ عليها السلام ــ والتي كان شأنها عجبًا؛ إذ ولدت ولدًا من غير أب، وهنا يأمرها المولى بالإمساك عن الكلام في مواجهة من ينكر عليها ذلك، قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ

﴿إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾، وآثر المولى التعبير باسم الله (الرحمن) طمأنة لها، وتثبيتًا لقلبها في مواجهة هؤلاء المنكرين ببيان أن الله سيغمرها برحمته، وأن الظل العام التي يظلل قصتها هو الرحمة، أو للفت أذهانهم إلى رحمة الله الواسعة، والتي يعجز الجميع عن فقه أسرارها، فبرحمته خصني بخوارق العادات، أو أن من رحمة الله بها وتقريبه إياها أن أمرها بالصوم؛ لصيانتها عن الكلام مع المتهمين لها، فأمرها ألا تجادل السفهاء، وتولى بذاته الدفاع عنها، فأنطق وليدها، أو لبيان أن التزامها الصوم استجلاب لرحمة الله؛ ليخلصها مما هي فيه.

الموضع الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥٨].

جاءت الآية بعد آيات يثني فيها المولى ــ سبحانه ــ عن كريم خصال بعض من الأنبياء والمرسلين، عن إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وموسى، وهارون، وإسماعيل، وإدريس ــ عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ــ وعما حباهم الله به من عطاءاته، وخصهم به من رفيع الدرجات، وقرب المنزلة، فقد اصطفاهم من سائر خلقه، وهداهم إلى سبل الرشاد، جاءت هذه الآية تنظمهم جميعًا في سلك واحدة، وتجمعهم في صفة مشتركة، هي حسن استقبالهم لنعم المولى عليهم، وعظيم خشيتهم، وشدة إدراكهم لما يحمله المنهج السماوي من رحمة بهم وبمجتمعاتهم، قال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا

سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾؛ أي: يخرون ساجدين باكين حين يستقبلون آيات الله خشية منه، والمراد بآيات الله على ما عليه أغلب المفسرين جميع آيات الله التي تشمل حججه ودلائله وبراهينه ومعجزاته، ووعده ووعيده، وغير ذلك مما يوجب الخضوع له، والخشية منه[1]، ولا دليل لمن قال: إن المراد بالآيات القرآن الكريم؛ لأن السياق لا يساعده، فالآية تتحدث عن أنبياء كثر من لدن آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

قابلوا آياته بأعظم ما يقابل به إنعام المنعم بالشكر، وبأعظم الخشية التي أومأ إليها التعبير بالرحمن؛ إذ إن الحامل عليها الإجلال والتوقير لا الخوف والهيبة، وأعظم الفهم فهم من يعلم أن منهج الله مصدره رحمة الله بعباده.

وآثر النظم القرآني التعبير باسم الله (الرحمن) دون غيره من أسماء الله الحسنى؛ للتناسب مع قوله تعالى في صدر الآية: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾، فكل ما هداهم إليه من الاستقامة على الحق، ومنحهم إياه من النبوة والرسالة، وخصهم به من القرب والكرامة كل ذلك من صور إنعام الرحمن جل في علاه.

وللإشارة إلى عظيم خشيتهم، فهم يخافونه مع علمهم بسعة رحمته، وعظيم إنعامه، قال ابن عرفة: "ولم يقل: آيات الله، أو القهار، أو العزيز، أو الجبار؛ تنبيها بالأدنى على الأعلى؛ إشارة إلى أنهم إذا سمعوا

[1]) ينظر: مفاتيح الغيب، ٥٥١/٢١، وابن كثير، ٢٤٢/٥، والوسيط، ٥٠/٩.

آيات الرحمن والرحمة يبكون ويسبحون؛ فأحرى إذا سمعوا آية التخويف والموعظة"[١]، فلذا عبر باسم الله (الرحمن)، وللمبالغة في الثناء عليهم بعظيم الخشية عبر بالاسم في ﴿سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ الذي يفيد مداومتهم على الخضوع، وعطف كلا الاسمين على الآخر؛ ليفيدا اكتمال كل صفة فيهما على حدة.

ففي طي إضافة الآيات للرحمن إشارة إلى أن آياته رحمة منه بعباده، وإحسان منه إليهم؛ فالتكاليف التي تأتي بها الآيات هي صورة من صور رحمة الله بعباده، وإحسانه بهم؛ يضبط بها حركة حياتهم، ويهديهم إلى الحق، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، وليست للعنت والمشقة، والنبيون يعتقدون ذلك؛ ومن شدة إدراكهم لرحمة الله التي شملهم بها في الآيات التي أنزلها، وتأثرهم بها يخرون سجدًا باكين شكرًا لله على ما أنعم به وتفضل، وتقربًا إليه، فما أطمعتهم رحمته، ولا غرهم عظيم إنعامه.

الموضع الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ ﴾ [مريم: ٦١].

---

[١]) تفسير ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت: ٨٠٣هـ)، المحقق: جلال الأسيوطي، ١٢٤/٣، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م.

تتحدث الآية عن وعد الله لعباده المؤمنين التائبين الذين يعملون الصالحات بجنات يدوم مقامهم فيها، ووعده لا يتخلف، وأسند الوعد فيها إلى الرحمن دون اسم الجلالة (الله) الذي يدل على كل جلال وكمال؛ للإشارة إلى أن وعده بالجنة رحمة منه وفضلًا، لا استحقاقًا واجبًا عليه لأحد من عباده، فلن يبلغ أحد الجنة بعمله، كما قال النبي ﷺ، فعن أبي هريرة، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: لن يدخل أحدًا عمله الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنين أحدكم الموت: إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب»[1].

فالآية تتحدث عن جزاء طائفة تتوب إلى ربها، وتؤمن به، وتعمل الصالحات، وتؤمن بالغيب، فتبين أن لهم الجنة، بل جنات ﴿ جَنَّٰتِ﴾، ونعيمها لا تحول عنه، فالبقاء في النعيم سرمدي؛ لأنها ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾، ثم زادت الآية تأكيد المعنى ببيان أنه وعد من الله بأن يوصلهم إلى أعلى الدرجات، ويحقق لهم ما وعدهم به، ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ﴾، ثم بعد ذلك هم عباده بإضافتهم إليه ﴿عِبَادَهُۥ﴾ المخلصون له في العبادة؛ وذلك مما أفاد رفعتهم، وعلو شأنهم، وأكد قوة إيمانهم، وشدة يقينهم؛ مدحًا لهم بقوله: ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾؛ أي: وعدهم بها غيبًا، فآمنوا وصدقوا، وسعوا إليها، ثم أكد إتيان الوعد وتحققه، فقال: ﴿كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾؛ أي آت لا محالة، وهذا سر التجوز في الإسناد بإسناد المبني للمفعول إلى الفاعل.

---

[1]) صحيح البخاري، كتاب: المرضى، باب: تمني المريض الموت، رقم الحديث: ٥٦٧٣، ١٢١/٧.

فاشتملت الآية على ما يؤكد حسن جزائهم؛ ترتبًا على حسن أعمالهم، مما قد يتوهمه بعضهم أن هذا جاء عن طريق استحقاقهم لهذا الجزاء، فجاء التعبير باسم (الرحمن)؛ لإبانة أن جزاءهم محض فضل ورحمة من الله على إيمانهم، فرحمة الله شملتهم في: قبول توبتهم، وهدايتهم إلى الإيمان والعمل الصالح، والجزاء على ذلك، فلولا رحمته ما كان شيء من ذلك.

ويمكن أن يكون التعبير باسم الله (الرحمن) علو يناسبه علو، فهم قد ارتقوا في عبوديتهم؛ حتى شرفهم بالانتساب إليه، وصدقوا في إيمانهم؛ حتى آمنوا بالغيب، فوعدهم بجنة تشملهم فيها رحمته؛ أي عطاء واسع من قبل الرحمن.

وقيل: لما وصف الجنة بجملة أوصاف كلها غاية في تعظيم أمرها، وشريف قدرها، جعل من جملة صفاتها أنها وعد من الرحمن؛ لزيادة تشريفها، وتحسينها، فرحمته واسعة، وفضله عميم وعظيم[١]؛ فلذلك فهي قد بلغت الغاية في تمام النعيم، ففيها من نعيم الله برحمته ما لا عين رأت، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧]، وقيل: إضافة الوعد إلى الرحمن فيه دلالة على استمرار الجنة وبقائها ببقاء رحمته[٢].

---

[١]) ينظر: تفسير المراغي، ٦٨/١٦، والتحرير والتنوير، ١٣٦/١٦.

[٢]) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ٤٩٦/١، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

وقيل: التعبير باسم الله (الرحمن) إدماج لتبشير من لم يدخل في هذا الموعود من المؤمنين السابقين[1]، واستنهاض للعاصين المسرفين؛ فيعلموا أن ربهم رحمن رحيم إن تابوا إليه قبلهم[2]، والمعاني كلها متناسبة، ويحتملها المقام، فلا جزم بواحد منها، والله أعلم بمراده.

الموضع الرابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [مريم: ٨٥].

تتحدث الآية عن تمام إنعام الله على عباده المتقين، وتكريمه لهم في وفودهم إليه بعدما يخرجون من قبورهم؛ فيحشرون إلى الرحمن حال كونهم وفدًا مكرمين.

وانظر إلى الصورة التي رسمتها الآيات لحال المتقين والمجرمين في حشرهم، والمفارقة الشديدة بين الجانبين مما لا يحيط به الوصف، إثر وصف الطائفة الأولى بالتمكن في التقوى، ووصف الطائفة الثانية بالتمكن في الإجرام؛ وذلك بالتعبير بالاسم في كلا الجانبين الذي يفيد رسوخ قدم كلا الفريقين في الوصف وثباته عليه، وذلك يوحي بشدة المباعدة بين مسلك كلا الفريقين، ثم ترتب على ذلك جعل الحشر للمتقين مما يشعر بالإعزاز، في مقابلة السوق للمجرمين مما يشعر بالإهانة؛ إذ يساقون كما تساق الأنعام، فجمع بينهم في الحشر، وغاير بينهم في معانيه، فحشر المتقين محفوف بالإعزاز والتعظيم، وحشر المجرمين مغلف بالذل، فشتان شتان ما بينهما! وحشر المتقين للرحمن الذي غمرهم

---

[1]) ينظر: التحرير والتنوير، ١٣٦/١٦.

[2]) ينظر: تفسير الشعراوي، ٩١٣٦/١٥.

برحمته، وخصهم بقربه؛ فمنتهاهم إلى الرحمن؛ ليتجلى عليهم برحمته؛ جزاء تقواهم، وسوق المجرمين إلى جهنم؛ تفظيعًا لحالهم؛ فمنتهاهم إلى النار؛ لتلفحهم بنارها، ويكتووا بحرها، وحشر المتقين حال كونهم وفدًا مما يشعر بالإعزاز والإكرام والتبجيل؛ إذ إنهم يحشرون مكرمين في رفعة كما تفد الوفود على الملوك، والمجرمين حال كونهم وردًا مما يشعر بالإهانة والذل، فالورد يطلق في الغالب على الأنعام العطاش.

والآيات قد صنعت مقابلات بين حال الفريقين؛ إلا أنها لم تجعل الجنة في مقابلة جهنم في الحديث عن منتهى الفريقين، وهو الظاهر في المقابلة، بل وضعت ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ في مقابلها؛ وهذا ما حدا بكثير من المفسرين إلى القول بحذف مضاف، وتقدير المعنى: نحشر المتقين إلى دار الرحمن، أو إلى جنته ودار كرامته، فهي موضع الكرامة والثواب، أو محل كرامة الرحمن، أو إلى الرحمة وهي الجنة[1].

وأرى أن جعل الجنة في مقابلة جهنم يوحي بالتكافؤ بين عمل كلا الفريقين وجزائه، فيكون الأمر قائمًا على العدل؛ فجعل حشر المتقين إلى الرحمن زيادة تشريف وتعظيم لهم؛ إذ يحشرون إلى الرحمن؛ ليتجلى عليهم برحمته، ويغمرهم بعطاياه، كما ينتظر الوفد إكرام الملوك وإنعامهم، ورحمته أوسع عطاياه، أوسع من جنته؛ ولهذا آثر التعبير باسم

---

[1]) ينظر: تفسير القرآن العظيم، المنسوب إلى الإمام الطبراني (ت: ٣٦٠ هـ)، نسخة إلكترونية ، ٤٩١/٤، وبحر العلوم، للسمر قندي، (تفسير السمر قندي) نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمر قندي (ت: ٣٧٥ هـ)، ت: د/ محمود مطرجي، ٣٨٧/٢، ط/ دار الفكر – بيروت، ومفاتيح الغيب،٥٦٥/٢١، وتفسير القرطبي، ١٥١/١١، وفتح القدير، ٤١٤/٣، وروح المعاني، ٤٥١/٨.

الله (الرحمن) دون غيره، وللإشارة إلى أنه ــ سبحانه ــ يعاملهم بفضله لا بعدله، وأن ما أعده لهم عطاء أوسع من جنته؛ إذ جعل منتهاهم إلى رحمة الله ورضوانه الذي هو أسمى وأعلى من الجنة؛ فلهذا لم يجعل الجنة في مقابلة جهنم في قوله: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [مريم: ٨٥ – ٨٦]؛ أي: يعطيهم عطاء أوسع من الجنة، وهي الرحمة، ولهذا جعل منتهاهم إلى الرحمن، ومنتهى المجرمين إلى جهنم، وبيّن بالتعبير بالرحمن مدى المفارقة بين إكرام هؤلاء وإذلال أولئك.

وقيل: عبر بالرحمن؛ بشارة وطمأنة لهم؛ إذ لفظ الحشر يوحي بالتجميع من أماكن متفرقة مما يوحي بأنه يكون على سبيل القهر؛ فجاء لفظ الرحمن؛ للإيذان بأنهم يحشرون إلى من يرحمهم[1].

الموضع الخامس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم: ٩٦].

يتحدث المولى في هذه الآية عن عطاء من أجل عطاءاته لعباده المؤمنين؛ وهو أنه يمكن محبتهم في قلوب الخلق من غير تودد منهم، ولا تعرض للأسباب التي تستجلب بها مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع سبب، وإنما هو ابتداء من الله؛ اختصاصًا منه

[1]) ينظر: البحر المحيط، ٢٩٨/٧، وتفسير النيسابوري، ٥٠٩/٤.

لأوليائه، كما قذف في قلوب أعدائهم الرعب والهيبة؛ إعظامًا لهم وإجلالًا لمكانهم، وهذا من عطاءات الرحمانية.

وعبر باسم الله (الرحمن)؛ للإشارة إلى أن هذا العطاء إنما هو محض فضل من الله، وفيض من فيوضات عطائه، وأثر من آثار رحمته ــ جلَّ وعلا ــ وليس عطاء بمقتضى العدل على إيمانهم، بل هو عطاء أوسع من عملهم جعله الله لهم بمقتضى رحمته، وللإشارة إلى العلاقة الوثيقة بين الرحمة والود الذي يكون في القلوب.

الموضع السادس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾ [الأنبياء: ١١٢].

جاءت الآية ختامًا لسورة الأنبياء بعد آيات بين فيها المولى أن إرسال رسول الله ﷺ رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ثم جولة مع أهل الباطل يبين لهم فيها النبي ﷺ أصول دعوته، وأنها قائمة على الدعوة إلى إله واحد، قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨ ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، وبعد هذه الدعوة يأمره المولى بإخباره ببراءته منهم، وإمهالهم إلى يوم لا يدري أقريب هو أم بعيد، ولا يدري تأخيره نعمة لكم كما تظنون أو نقمة، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ

﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١١١﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٩ – ١١١].

ثم بعد ذلك جرى الكلام على لسان سيد المرسلين ﷺ ابتهالًا إلى ربه أن يحكم بينه وبين هؤلاء بالحق الذي يلزم منه النصر أو الخذلان لكل منا وفق ما يستحق، ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ ، ثم قال: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ يستعين به على أقوالهم وكذبهم.

وآثر التعبير باسم الله (الرحمن)؛ للإشارة إلى أنه لولا عموم رحمته لأهلكهم بما يقولون، وأنه يستعين برحمته على ما يصفون من باطل.

الموضع السابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣].

جاءت هذه الآية في صدر آيات يذكر الله فيها صفات خيرة عباده من الصالحين، الذي شرفهم بالانتساب إلى عبوديته، جمع لهم فيه من عليِّ الأوصاف، وجميل الخلال ما لم يجمعه لهم في موطن آخر من القرآن الكريم، وجاءت الإضافة هنا إلى اسم الله (الرحمن) دون غيره من أسمائه ــ جلَّ وعلا ــ؛ للإشارة إلى أنهم وصلوا إلى هذا المقام العالي بعموم رحمته، أو للبشارة لهم وكأنهم بهذه الصفات استوجبوا رحمته، أو للثناء العظيم عليهم؛ إذ إنهم عبدوه وعظموا أمره مع علمهم بواسع رحمته، فما امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه خوفًا من سطوته وقهره،

وإنما توقيرًا لذاته، وإجلالًا وتعظيمًا لأمره ونهيه، أو للإشارة إلى أنه هو المستحق للعبادة؛ لعظيم إنعامه، وجميل عطائه، وفي هذا ثناء عليهم؛ إذ إنهم عرفوا أن الله هو المنعم، فشكروه على إنعامه عليهم.

وهناك صلة وثيقة بين هذه الصفات وبين اسم الله (الرحمن)؛ فهم متصفون بها، موعودون بها، كأنهم امتثلوا هذه الصفة التي أضيفوا إليها، فبدت الرحمة في كل أفعالهم، في مشيهم على الأرض، وإعراضهم عن الجاهلين إلى غير ذلك من صفاتهم، فهم لذلك موعودون بكمال رحمة الله ــ عز وجل ــ ولبيان شدة المفارقة بين عباد الرحمن والمشركين الذين أنكروه مع شدة ظهوره، وقالوا: ﴿ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا ۝٦٠ ﴾ [الفرقان: ٦٠].

وقيل: أضافهم إلى الرحمن؛ لتخصيصهم برحمته، أو لتفضيلهم على من عداهم لكونهم مرحومين منعما عليهم[١].

وقيل: الإضافة إلى الرحمن فيها إيماء إلى أن العبودية لله رحمة منه بعباده، وشرف وفضل، فلا يظنن أحد أنها قهر وذلة؛ فلذا عبر بالرحمن[٢].

وكل هذه المعاني يحتملها المقام؛ إذ فيها ترفيع لشأن هؤلاء العباد الصالحين، وبيان لما اختصهم به المولى من عظيم الجزاء.

---

[١]) ينظر: روح المعاني، ٤٣/١٠.

[٢]) ينظر: تفسير الشعراوي، ١٠٥٠٠/١٧.

الموضع الثامن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٥].

خطاب من المولى لنبيه ﷺ يقول له: اسأل أممهم وعلماء دينهم، هل حكمنا بعبادة أحد من آلهتهم وأوثانهم من دون الرحمن؟

وجاء التعبير باسم الله (الرحمن)؛ تنبيهًا إلى وجه المغايرة الواضح البين للعيان جميعًا، وهو عدم قدرة آلهتهم على جلب نفع أو دفع ضر، والرحمن الذي هو مولي النعم كلها أصولها وفروعها، فأيهما يستحق العبادة؟!

فكأن التعبير باسم الله (الرحمن) كافٍ في الإقناع بهذه القضية؛ بالجزم بالعبودية له ــ سبحانه ــ والحكم بعدم الاستواء بين المنعم بجلائل النعم وآلهتهم الباطلة.

الموضع التاسع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الملك: ٢٩].

جاءت الآية في نهاية سورة الملك يأمر المولى سيدنا محمد ﷺ بكلمة حاسمة يواجه بها المشركين بعد جولة معهم، وسوق الأدلة لهم على تفرد الله بالوحدانية، هي جماع الدعوة لمن طرح العناد، وأعمل الفكر، ونظر في الكون، وفي نفسه، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ

﴿تَوَكَّلْنَا﴾، وجاء التعبير باسم الله (الرحمن)؛ لكفاية الدعوة به في إقناع الكافرين المعاندين؛ فعموم رحمته تشملهم في معاشهم كله، ويدركون آثارها في كل ذرة من ذرات وجودهم، فلو تفكروا وتأملوا قليلًا؛ لأدركوا ذلك، فاسم الله (الرحمن) لا يكافئه أو يناظره شيء من دلائل الإقناع، وكأنه يقول لهم بالدليل القاطع والبرهان الساطع: نؤمن بالرحمن الذي أوجدنا برحمته من العدم، فانظروا إلى نعمه التي تغمركم.

وللإشارة إلى أن الإيمان بالله أثر من آثار رحمته، وأنهم بإيمانهم مستوجبون لرحمته، فلا يهلكهم كما يتمنى الكافرون، وتعريض بالكافرين بأنهم بكفرهم مطرودون من رحمته، مبعدون عن ساحته.

المطلب الرابع

وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (الله) في مقام الحديث عن الكافرين

ورد اسم الله (الرحمن) في مقام الحديث عن الكافرين، وصفًا لكفرهم، أو جريًا على ألسنتهم، أو الحديث عن عقابهم، أو دعوتهم إلى الله بها مما يستدعي الوقوف عنده بالنظر والتأمل.

الموضع الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠﴾ [الرعد: ٣٠].

جاءت الآية في سياق أمر المولى ــ سبحانه ــ رسول الله ﷺ بتلاوة ما أنزله عليه من الآيات على هؤلاء الكافرين المعاندين، وألا يمل تلاوتها عليهم، ودعوتهم إلى الله، بقوله: ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠﴾، فإن في ذلك حكمًا وإن خفيت، وبين أن هذا هو ما يجب عليه لا إجابتهم في اقتراحاتهم الباطلة، وصدر المولى الآية ببيان أن شأنهم في تكذيبه وإيذائه شأن من سبقهم من الأمم مع رسلهم، وفي طيات الآية تسلية لرسول الله ﷺ.

وعبر القرآن الكريم باسم الله (الرحمن) في سياق الحديث عن كفر الكافرين ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾؛ تفظيعًا لكفرهم، وتقبيحًا لسوء صنيعهم؛

لمقابلتهم النعمة بالكفر، والإحسان بالإساءة، فأقبح القبائح، وأنكر المنكرات، وأعتى ألوان الكفر وأشده هو الكفر بالرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء؛ إذ إنه كفر بالمنعم الذي لا يخفى فضله، ولا تجحد آثاره ونعماؤه، فله في كل ذرة من ذرات حياتهم نفحة من نفحات رحمته، وأثر من آثار نعمته، كفروا بالرحمن وما قدروا عظيم رحمته بإنعامه عليهم بإنزال كتابه، وإرسال رسوله، وذلك منتهى الجهل، وغاية القبح، فما هكذا تستقبل الرحمة! وما هكذا يكون جزاء المنعم! ولو كانت لهم بقية من عقل، وأثارة من فهم؛ لشكروا الرحمن على نعمه بالإيمان والاتباع، وما كفروه بالجحود والإعراض.

وللإشارة إلى عظيم حلمه، وكريم عفوه، وواسع رحمته؛ إذ إنه يرزقهم، ويحييهم، ويمدهم بشتى صنوف النعم مع كفرهم، ولا يعاجلهم بالعقوبة، وللإيذان بأن إرساله ﷺ إليهم، وإنزاله الكتاب أثر من آثار رحمته، قال تعالى في شأنه ﷻ:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال في شأن كتابه: ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١ ﴾ [العنكبوت: ٥١].

ولا يخفى ما في التعبير بالجملة الحالية والمضاع في قوله: ﴿ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ﴾ من ملازمتهم وثباتهم على إحداث الكفر؛ أي وحالهم الثابت الدائم، أنهم يجددون الكفر بالرحمن في مقابل تجدد إنعامه عليهم.

فالمولى يأمر نبيه ﷺ بأشد ألوان الصبر والمصابرة في مواجهة أعتى الناس كفرًا، وأخسهم حالًا ومآلًا.

وفيه تسلية لرسول الله ﷺ وتقريرها: إذا كانوا قد كفروا بالرحمن المنعم المتفضل، فلا تذهب نفسك حسرات على تكذيبهم، وقد أسس المولى لهذا المعنى ورسخه من خلال التعبير باسمه (الرحمن)، والإشارة إلى أن ذلك دأب أسلافهم من الكافرين قبلهم، ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ﴾ وكأنهم جميعًا تواصوا بذلك، والتأكيد على وضوح ما يدعوهم إليه؛ إذ إنه وحي من عند ذي العزة والجلال، ﴿لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، الذي له من التأثير ما يزحزح الجبال عن أماكنها، وتتصدع وتتشقق منه الأرض، وتستجيب له الموتى، فهو الغاية في الإنذار والتخويف، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ﴾ [الرعد: ٣١]، ولكن قلوبهم أصبحت مواتًا أقسى من الجبال، فالأمر لله، قال تعالى: ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًا﴾.

والاقتصار في دعوته على قوله: ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠﴾؛ للفت أذهانهم إلى إنعام الله عليه، فهو المربي له، المنعم عليه بالإيجاد والرزق ﴿رَبِّي﴾، وإلى تفرده بالألوهية، واستحقاقه للعبودية دون ما سواه، فمنه يستمد العون، ويلتمس النصر، وإليه المرجع والمصير: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠﴾ ففي طياتها تبكيت لهؤلاء المعاندين على مقابلة الإحسان بالإساءة.

وقد أتى إسماعيل حقي بوجه لطيف في التعبير عن الله بالرحمن في سياق الحديث عن كفر الكافرين؛ إذ يقول: "الإشارة إلى أن الأمم لما كفروا

بالله كفروا بالرحمن؛ لأن الرحمانية قد اقتضت إيجاد المخلوقات، فإن القهارية كانت مقتضية الواحدية بأن لا يكون معه أحد فسبقت الرحمانية القهارية في إيجاد المخلوقات؛ ولهذا السر قال تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم: ٩٣]، فأرسل الله الرسل وأنزل معهم الكتب؛ ليقرأوا عليهم ويذكروهم بأيام الله التي كان الله ولم يكن معه شيء، ثم أوجدهم، وأخرجهم من العدم إلى الوجود وهو الذي رب كل شيء وخالقه، ولا إله إلا هو وإليه المرجع والمآب"[١].

وانظر إلى المفارقة والمباعدة بين إنعام الله عليه وحالهم معه بكفرهم، وإلى حال رسول الله ﷺ معهم وحالهم معه، قال تعالى: ﴿ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾، أنت تتلو عليهم ما فيه سعادتهم و صلاحهم، وهم يصرون على الكفر الذي فيه شقاؤهم وضلالهم.

الموضع الثاني:

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وردت الآيات في ختام سورة الإسراء ردًّا على المشركين المنكرين إطلاق اسم الرحمن عليه ــ عزَّ وجلَّ ــ ومراده: قل أيها الرسول لمشركي قومك الذين أنكروا اسم الرحمن سمّوا الله أيها القوم أو سموا

---

[١]) روح البيان، ٣٧٥/٤.

الرحمن، فبأي أسمائه ــ جلَّ جلالُه ــ تسمونه فهو حسن؛ لأن كل أسمائه حسنى؛ إذ فيها التعظيم والتقديس لله ــ جلَّ جلاله ــ وهو خالق السموات والأرض، وهذان الاسمان منها، روي في سبب نزول الآية: «أنها نزلت حين سمع رجل من المشركين النبي ﷺ وهو يقول في سجوده: يا رحمن يا رحيم، فقال: إنه يزعم أنه يدعو واحدًا وهو يدعو اثنين، أو ينهانا أن نعبد إلهين، وهو يعبد إلهًا آخر، فأنزل الله الآية، أو لأن اليهود قالوا: إنك لتُقِل ذكر الرحمن، وقد أكثر الله ذكره في التوراة»[1].

والمراد التسوية بين الاسمين؛ أي: سموا الله بهذا الاسم (الله) الدال على الألوهية والجلال واستحقاق مسماه الدعاء لذاته، أو بهذا الاسم (الرحمن) الدال على الإنعام والفضل واستحقاق هذا الاسم الدعاء؛ لإنعامه، فجميعها أسماؤه، وهي حسنة، ودالة عليه ــ جلَّ جلالُه ــ فالمسمى واحد.

وأصل الكلام: أيًّا ما تدعو فهو حسن، فوضع موضعه الأسماء الحسنى؛ للمبالغة في كمال أسمائه، والدلالة على ما هو الدليل عليه؛ أي: كلاهما حسن؛ لأن له الأسماء الحسنى؛ فحسن جميع أسمائه يستدعي حسن ذينك الاسمين، ووجه حسنها أنها تدل على صفات الكمال من الجلال والجمال والإكرام[2]، فتمام حسنها أن الاسم طابق المسمى.

وآثر النظم التعبير بهذين الاسمين دون أسمائه الحسنى؛ إما لمناسبة سبب نزول الآية، أو لأنهما الاسمان العلمان الخاصان بالله الدالان على

---

[1]) ينظر: الكشاف، ٧٠٠/٢، وتفسير البيضاوي، ٢٧٠/٣، وإرشاد العقل السليم، ٢٠٠/٥.

[2]) ينظر: تفسير البيضاوي، ٢٧٠/٣، وإرشاد العقل السليم، ٢٠٠/٥.

مجامع العظمة، القهر والألوهية والجبروت الذي يتشعب من اسم الجلالة (الله)، واللطف والرحمة والعناية والرعاية الذي يتشعب من اسم الله (الرحمن)، فهما أعظم أسمائه، وأعمها، وفيهما جميع الأسماء والصفات والذات والنعوت والأفعال، فكل ما يريده الإنسان ويدعو ربه به يندرج تحت هذين الاسمين.

وقال الماتريدي: "ثم اختلف في تخصيص ذكره بهذين الاسمين: قال بعضهم: وجه تخصيصهما؛ لأنهما اسمان مخصوصان له، لا يجوز أن يسمى غيره بهذين الاسمين، وأما غيرهما من الأسماء فإنه يجوز أن يسمى غيره بها.

وقال الحسن: خُصَّ بذكرهما؛ لأنهما اسمان معظمان عند الخلق ما لم يجعل لغيرهما من الأسماء من التعظيم ما جعل لهذين.

وقال أبو بكر الأصم: خص بذكر هذين؛ لأن غيرهما من الأسماء أسماء أخذت عن صفاته، وأما هذان فهما ليسا أخذًا عن صفته"[1].

وقال الشيخ الشعراوي: "فقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ ﴾ فاختار هذا الاسم بالذات (الله) العلم على واجب الوجود، وهو اسم ذات لا يدل على صفة معينة، لكنه يحمل في طياته كل صفات الكمال....واختار (الرحمن) دون الجبار أو القهار؛ لأن الرحمة صفة التحنين للخلق، فالحق ــ سبحانه ــ يظهر هذه الصفة لعباده حتى في أسماء الجبار والقهار؛ لأنها

---

[1]) تفسير الماتريدي، لمحمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، ت: د. مجدي باسلوم، ١٢٨/٧، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

من خدم الرحمة ومن أسبابها؛ لأن العبد إذا عرف لله صفة الجبروت، وصفة القهر، وصفة الانتقام انتهى عن أسباب الوقوع تحت طائلة هذه الصفات، فكأنه يرحم عباده حتى بصفات القهر والانتقام" [1].

الموضع الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤﴾ [مريم: ٤٤].

جاءت الآية حكاية عن نبي الله إبراهيم ــ عليه السلام ــ ينهى أباه عن عبادة الشيطان، ويعلل له هذا النهي بأن الشيطان عدوك الذي يريد إهلاكك، شديد العصيان للرحمن الذي أنعم عليك بجميع ما عندك من النعم، والمطيع للعاصي عاصٍ، فلا تدخل معه في عصيانه حتى لا يسلب منك المنعم نعمه.

وفي التعبير بالفعل (كان) وصيغة المبالغة في (عصيًّا) دلالة على أن وصف العصيان لا يفارقه، وأنه متمكن منه؛ فلذا فإنه لا يأمر إلا بالشر، وإتباعه يوجب الطرد من رحمة الله.

وآثر إبراهيم عليه السلام التعبير باسم الله (الرحمن) دون غيره من أسمائه الحسنى؛ للإشارة إلى شناعة عصيانه؛ إذ إنه عصيان للمنعم، وللفت أبيه إلى شدة المفارقة بين ما ينهاه عنه وهو الشيطان مصدر كل شر، وما يدعوه إليه وهو الرحمن مصدر كل خير، وهذا كاف في التنبيه؛ فلذا حسن التعبير به، قال أبو حيان: "وكان لفظ الرحمن هنا تنبيهًا على سعة رحمته،

---

[1]) تفسير الشعراوي، ١٤/ ٨٨١١.

وأن من هذا وصفه هو الذي ينبغي أن يعبد ولا يعصى، وإعلامًا بشقاوة الشيطان؛ حيث عصى من هذه صفته، وارتكب من ذلك ما طرده من هذه الرحمة"[١].

وللإشارة إلى أنه يدعوه إلى ما فيه خيره ورحمته، وينهاه عن الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن المنعم عليك بجلائل النعم، والذي يريد طردك من رحمته، وإبعادك عن خيره، وللفته إلى أن عبادة الأصنام التي يأمر بعبادتها الشيطان توجب الطرد من رحمة الله.

الموضع الرابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [مريم: ٧٧ – ٧٨].

تتحدث الآيات عن ذلك الجاحد الكافر الذي جزم بأن الله سيرزقه المال والولد، وكأنه أطلع الغيب، أو اتخذ عند الله عهدًا، وهو العاص بن وائل، فعَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ قَالَ: "كَانَ لِي دَيْنٌ عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ: لَا وَاللهِ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، قُلْتُ: لَا وَاللهِ لَا أَكْفُرُ

[١]) البحر المحيط، ٢٦٩/٧.

بِمُحَمَّدٍ حَتَّى تَمُوتَ، ثُمَّ تُبْعَثَ، قَالَ: إِنِّي إِذَا مِتُّ ثم بعثت، جئني، وَسَيَكُونُ لِي ثَمَّ مَالٌ وَوَلَدٌ، فَأُعْطِيكَ، فَأَنْزَلَ الله ــ تَعَالَى ــ هَذِهِ الْآيَةَ"[1].

وتستفهم الآيات استفهامًا إنكاريًّا، والمعنى: أنه لا يَجْزِمُ أحدٌ بمثل ما جزمت به، إلا أن يكون أطلع الغيب، أو اتخذ عهدًا من الرحمن بذلك، فكان الوفاء عليه -سبحانه - متحققًا، والأمران محالان.

وآثر النظم الكريم التعبير باسم الله (الرحمن) وجعل العهد عنده لا عند غيره من أسماء الله الحسنى؛ للإشعار بعلة اطمئنان هذا الكافر الجاحد، الذي أغراه إمهال الرحمن له، فظن ــ لتوارد نعم الرحمن وتكاثرها عليه ــ أنه ناجٍ من عذابه، وأنه سيعطيه في الآخرة كما أعطاه في الدنيا، كأنه أخذ عهدًا بذلك منه ــ سبحانه وتعالى.

وفي التعبير باسم الله (الرحمن) إشارة إلى نقض كلامه؛ إذ من كمال رحمة الرحمن الإنعام على الطائع، ومعاقبة العاصي.

الموضع الخامس:

قال تعالى: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [مريم: ٨٦ – ٨٧].

---

[1]) أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ص٦٣، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

الآية تتحدث عن سوق المجرمين إلى جهنم سوقًا ذميمًا كالأنعام العطاش، لا يملكون لأنفسهم نفعًا، من شفاعة عند الله، ثم تحصر الآية الشفاعة فيمن اتخذ عند الرحمن عهدًا.

وآثر المولى استعمال اسم الله الرحمن لعلة اقتضاها المقام، وهي: أنه لا يملك أحد الشفاعة عند الله إلا بمحض فضله ورحمته، لا بعظيم عمله، وكبير قدره وفضله، أولا يملك أحد الشفاعة عنده إلا بعظيم عمله وفقه المولى إليه بعظيم رحمته.

أو للإشارة إلى وجوب تحقق العهد؛ إذ إن من مقتضيات رحمة الرحمن أن يتكرم على عباده بقبول أعمالهم، وإنجاز وعدهم، وتكريمهم بقبول شفاعتهم.

الموضع السادس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ ﴾ [طه: ٩٠].

جاءت الآية حكاية عن نبي الله هارون ــ عليه السلام ــ يدعو قومه إلى عبادة الله ــ سبحانه ــ إثر عبادتهم العجل، وجاء التعبير باسم الله (الرحمن)؛ لاستمالتهم إلى عبادة الله ونبذ عبادة العجل؛ إذ إن ربهم هو الرحمن المنعم بجلائل النعم، فإذا كانوا عاجزين عن إدراكه، فليدركوا آثار نعمته ورحمته في أنفسهم، وللفت أذهانهم إلى ما بين ربهم الرحمن المستحق للعبادة ومعبودهم من شدة المفارقة؛ فمعبودهم لا ينفع ولا يضر، أما الرحمن فهو المنعم بجلائل النعم، والخير كله منه، وهذا أبرز الدلائل، وأقواها في الإقناع، وأخصرها في الإيجاز.

وقيل: خص هذا الموضع باسم الله الرحمن؛ تنبيهًا على أنهم متى تابوا إلى ربهم قبلهم، وتجاوز عن سيئاتهم؛ لأنه رحمن رحيم[1].

الموضع السابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٦].

جاءت الآية تحكي حالًا من أحوال الكافرين، وتبين عن إغراقهم في الضلال والكفر؛ فإنهم حين يرون رسول الله ﷺ يذكر أصحابه بالله يستهزءون به، ويغضبون لذكره آلهتهم، والحال أنهم يكفرون بذكر المنعم (الرحمن) جلَّ جلاله الذي خلقهم ورزقهم.

ما أشد المفارقة في حال الكافرين يعيبون رسول الله ﷺ ويغضبون منه لذكر آلهتهم التي لا تجلب لهم نفعًا، ولا تدفع عنهم ضرًّا، ويكفرون ويهزؤون بالمنعم بجلائل النعم، الذي لا نعمة ظاهرة أو باطنة على الخلق إلا منه، بمقتضى رحمانيته؛ إنه الرحمن، فسر إيثار التعبير باسم الله (الرحمن) دون اسم الجلالة (الله) هو الإبانة عن شدة سكرتهم، ونهاية

---

[1]) ينظر: مفاتيح الغيب، ٩٢/٢٢، والبحر المحيط، ٣٧٤/٧، و اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر ابن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، ت/ الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ: علي محمد معوض، ٣٦١/١٣، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م، وتفسير النيسابوري، ٥٦٦/٤.

غفلتهم، وسخافة عقولهم، ومنتهى قبحهم وجهلهم، كيف قابلوا إنعامه بالكفر!

وألمح ما أفادته الجملة الحالية من جعل هذا حالهم الدائم الثابت، وما أفاده الضمير المنفصل وتكراره ﴿وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ ﴾من تعيينهم؛ أي: هم بأشخاصهم وذواتهم، بظواهرهم وبواطنهم؛ أي: الذين أنكروا عليك ذكر آلهتهم هم بأعيانهم الذين يكفرون بالرحمن، ففي طيات تكراره تأكيد، وتعظيم لفعلهم، وما أفاده التقديم في قوله: ﴿ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ من قصر كفرهم على ذكر (الرحمن) جل جلاله دون سواه؛ الذي كان يقتضي بإنعامه، ورحمته أن يكون محلًّا لإيمانهم وتعظيمهم دون أصنامهم، والتعبير بالاسم ﴿كَٰفِرُونَ ﴾ أعطى معنى ثباتهم ودوامهم على الكفر بالرحمن، حتى أنه لا يفارقهم أو ينفك عنهم بحال.

إنهم بمقتضى ما أبرزته الآية من المباعدة بين حالهم وحال رسول الله ﷺ أهل للهزء والسخرية، وأحق بها وأهلها؛ لو كانوا يعقلون، ولكن أنى لهم؟! هيهات هيهات.

ذهب السمر قندي والزمخشري إلى أن المراد إنكار اسم الله (الرحمن) [١]، وذهب الرازي والبيضاوي والطاهر بن عاشور إلى أن المراد بذكر الرحمن هو القرآن الكريم[٢]، وإضافة الذكر إلى الرحمن فيه دلالة على أن

---

[١]) ينظر: بحر العلوم، ٤٣٦/٢، والكشاف، ١١٧/٣.

[٢]) ينظر: مفاتيح الغيب، ١٤٤/٢٢، وتفسير البيضاوي، ٥١/٤، والتحرير والتنوير، ٦٦/١٧.

القرآن الكريم أثر من آثار الرحمة الإلهية، وذهب الماتريدي إلى أن المراد بذكر الرحمن بنعمة الرحمن وهي سيدنا محمد ﷺ[1].

الموضع الثامن:

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۚ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

يأمر المولى النبي ﷺ أن يواجه المشركين المستهزئين به بهذا القول الحاسم، بسؤالهم عمن يحفظهم بالليل والنهار من الرحمن؛ أي: في جميع أحوالكم؛ منامًا ويقظة.

وجاء النظم بالتعبير بالرحمن، وليس في السياق مناسبة ظاهرة تقتضي ذكر الرحمة بمعناها الحقيقي؛ إذ لا يحتاج الناس إلى حافظ يحفظهم من ذي الرحمة الواسعة، ولكن النظم آثر التعبير باسم الله (الرحمن)؛ تنبيهًا لهم على عظيم رحمته ــ سبحانه ــ فلا نعمة عليهم إلا منه بعظيم رحمته، ولا حفظ لهم إلا برحمته، وقد غرهم إمهاله حتى أمنوا مكره، فكيف به لو قطع إحسانه؟ أيكون هناك من ينعم عليهم بالكلاءة والحراسة والحفظ غيره؟!، وتهديد عظيم لهم بألا تغرهم رحمته وأمهاله.

وللإشارة إلى أنه لولا رحمته لعاجلهم بالعقوبة على استهزائهم برسول الله ﷺ، فلا كرامة لهم على الله، ولا استحقاق لهم عليه بموجب أعمالهم، وإنما يؤخر عذابهم، ويحفظهم ويرزقهم وينعم عليهم بعظيم رحمته؛ رجاء أن ينتبهوا ويواظبوا على شكر نعمه.

---

[1]) ينظر: تفسير الماتريدي، ٣٤٤/٧.

وللتنبيه على عظيم جرمهم؛ فهم يعيشون في رحمته، ولا يشكرونها، واستهزءوا برحمته للعالمين سيدنا محمد ﷺ، إنهم لفظاعة جرمهم لا يسعهم إلا رحمة الله، بل كادت من فظاعة جرمهم أن تطردهم من رحابها.

وقال الشيخ أبو زهرة: "ووصف ــ سبحانه ــ ذاته العلية بالرحمن، للإشارة إلى أن نزول العذاب بهم بعد هذا الاستهزاء من دواعي رحمته؛ لأن عذاب المجرمين من الرحمة؛ لأنه إذا كان عذابًا للفجار فهو رحمة بالأبرار، فمن الرحمة ألا يسوي بين المحسن والمسيء"[1].

الموضع التاسع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا ۞ ﴾ [الفرقان: ٦٠].

جاءت الآية بعد جولة من جدل المشركين الباطل مع رسول الله ﷺ، ووقوفهم في وجه الدعوة، ثم جولة مع رسول الله ﷺ يروح بها عنه قلبه ﷺ، ويعزيه عن استهزائهم به، ويدفع بها مضايقات المشركين عنه؛ ذاكرًا له عبادتهم ما لا ينفع ولا يضر، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ۝٥٥ ﴾ [الفرقان: ٥٥]، ثم يذكر تطاولهم وعنادهم، وجهلهم بربهم، وسوء أدبهم معه، وإعلانهم الكفر والجحود بالله مع تلطفه في دعوتهم إليه، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا ۞

---

[1]) زهرة التفاسير، ٤٨٦٩/٩.

﴿ ٦٠ ﴾ [الفرقان: ٦٠]؛ أي: اسجدوا للذي أنعم عليكم بسائر النعم التي تقيمون فيها، وتظلل وجودكم، فناسب أن يدعوهم بهذا الاسم الذي له في كل مخلوق أثر، وفي كل حي نفحة من رحمته[1]، وفي طيات التعبير بالرحمن لفت لأنظار المخاطبين إلى أهمية السجود له، وترغيبهم في المسارعة إلى تحصيله، وكمال العناية به.

إن تخصيص الأمر بالسجود باسم الله (الرحمن) دون غيره من أسمائه الحسنى ينطق بصريح كفرهم، ويوحي بشدة المباعدة والمفارقة بين إحسان الله وإنعامه عليهم بالظل الذي مده، والليل، والنوم، والنهار، والرياح، والمياه الطهور، وكفرهم بدلًا من شكرهم، فلقد وصلوا في الكفر مبلغًا لا يتصوره بشر.

فكأن الله يقول: انظر مدى كفرهم، وشدة عنادهم، إذا قيل لهم: أخضعوا بالصلاة للرحمن المنعم عليكم بشتى ألوان النعم، أنكروا وتجاهلوا المعرفة به مع كمال ظهوره بظهور نعمه عليهم، فهي بادية وليست خافية، ولم يكفهم رفض دعوته، وكفر نعم ربهم، بل من شدة كفرهم، وبالغ عنادهم استفهموا عنه استفهام من يجهله، وعبروا عنه في استفهامه بأداة ما لا يعقل، فقالوا: ﴿ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ الذي تدعونا إلى السجود له، وهم قد بلغوا بقولتهم هذا مبلغًا كبيرًا في الوقاحة، كما يقول أبو حيان الأندلسي: "أظهروا

---

[1]) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب (ت: ١٣٩٠ هـ)، ٥٢/١٠، الناشر/دار الفكر العربي – القاهرة .

التجاهل بهذه الصفة التي لله مغالطة منهم ووقاحة ، فقال: ﴿وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ وهم عارفون به وبصفته الرحمانية"[١].

وهم لا ينكرون اسم الله (الرحمن)؛ جهلًا به، بل كانوا ينكرونه جحودًا، وقد ثبت في القرآن الكريم أنهم كانوا ينكرون ما ثبت لديهم حقيقة، وعلموه يقينًا، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ [البقرة: ١٤٦]، ومع علمهم يكذبون به.

وكان مقتضى الظاهر التعبير بالضمير على النحو الآتي: وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما هو؟ وسر هذا العدول المبالغة في تجاهل المأمور بالسجود له سبحانه.

ثم تعجبوا من أمر الداعي منكرين عليه دعوته لهم: ﴿ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا ﴾، أنخضع لكل من تأمرنا بالتذلل له دون برهان، ولم يكفهم التجاهل له في الاستفهام الأول، والاستخفاف والاستهزاء اللذين ظهرا من إنكارهم، والتعبير عنه بما لا يعقل، والإنكار على الداعي، حتى أتوا بأداة ما لا يعقل ﴿لِمَا تَأۡمُرُنَا ﴾ من غير علم لنا به، وقولهم: ﴿ تَأۡمُرُنَا ﴾ فيه إيماء إلى أن رفضهم الدعوة بالسجود منشؤها هو الداعي، وليس المسجود له؛ أي: لما تأمرنا أنت به، وعدلوا في جوابهم عن أن يقولوا: أنسجد للرحمن، لما عليه النظم ﴿ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا ﴾ وهو كناية عنه مبالغة في الإنكار والاستخفاف، وما زادتهم الدعوة التي تشتمل على دواعي الإقبال،

---

[١]) البحر المحيط، ١٢٢/٨.

ومظاهر الخضوع؛ شكرًا للنعمة، إلا إعراضًا واستكبارًا ﴿ وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾؛ لما ركب في نفوسهم من العناد واللجاج.

فالدعوة إلى الله بالرحمن كافية لذوي الفطر المستقيمة للاستجابة، وباعثة لهم على الفعل، وداعية إلى قبولهم؛ إذ إنها دعوة تحمل في طياتها دلائل الإقناع بها، وتصرح بالصفات التي توجب الاعتراف به ــ سبحانه وتعالى ــ والخضوع له، والإقرار بألوهيته، فالرحمن نعمه ظاهرة يلمسونها في كل حياتهم، وبها قوامهم، فلو لم يدع إلى عبادته إلا لأنه الرحمن لكفى.

وفي طيات التعبير بالرحمن في الدعوة إلى السجود الله إشارة إلى أن خضوعكم له ليس قهرًا، وإنما هو من آثار رحمانيته بكم، منعكم به عن الخضوع لغيره، وأعلى به شأنكم.

وللإشارة إلى تصحيح المفاهيم في عقولهم، يقول لهم: اجعلوا خضوعكم لمن لا غنى لكم عنه.

الموضع العاشر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [يس: ١٥].

جاءت الآية حكاية عن أصحاب القرية المكذبين في سياق حديثهم مع المرسلين يكذبونهم بها، ويبطلون ــ في زعمهم ــ دعوى أنهم مرسلون.

أنكروا رسالتهم بثلاث جمل جعلوها دلائل على إنكار رسالتهم، الأولى هي قوله تعالى: ﴿مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾؛ أي: إن البشر ــ في

اعتقادهم ــ لا يكونون رسلًا، وأنتم بشر، فهذا يمنع من اتخاذكم رسلًا، ويقتضي تكذيبكم فيما أخبرتم به من أنكم مرسلون، ولو أنه ــ سبحانه ــ أرسل إلى البشر رسلًا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة.

والثانية قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ ﴾؛ أي: إن عموم رحمته تقتضي أن يسوي بيننا في رحمته، فلا يخصكم بشيء دوننا؛ لاستوائنا في العبودية، وهذا هو السر التعبير باسم الله (الرحمن) دون غيره من أسمائه.

وقيل: وجه تخصيص (الرحمن) بالذكر؛ الإيذان بأنه غني عن إنزال الرسل بتكاليف لا يعود منها نفع إليه ــ سبحانه ــ ولا يتوقف إيصاله تعالى الثواب إلى العبد عليها[١].

وقيل: إن اختيار اسم (الرحمن)؛ لكونه صالحًا لعقيدة الفريقين؛ لأن اليونان لا يعرفون اسم الله، واليهود كانوا يتجنبون النطق باسم الله، فيعوضونه بالصفات، ومما يؤيده أنه لم يجر اسم الله على ألسنة المرسلين، وإنما جرى لفظ الرب ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ ﴾ [يس: ١٦]، وهم قد تحاشوا في ردهم التعبير بلفظ (الرب)؛ لئلا يكون اعترافًا ضمنيًّا منهم بوجود رب لهم[٢].

والثالثة قوله تعالى: ﴿ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴾؛ أي: ولما تقدم فما أنتم إلا تكذبون في أقوالكم وادعائكم النبوة دوننا.

---

[١]) ينظر: روح المعاني، ٣٩٣/١١.

[٢]) ينظر: التحرير والتنوير، ٣٦١/٢٢، ٣٦٢.

فكأنهم ذكروا أمرًا يتعلق بالرسالة، وهي أنها لا تكون لبشر، وأمرًا يتعلق بالله، وهو أنه لا حاجة به إلى إرسال الرسل، فهو الرحمن، وأمرًا يتعلق بالمرسلين وهو كونهم كاذبين.

والتعبير باسم الله (الرحمن) الذي جعلوه دليلًا على تكذيب الرسل، يحمل الدليل على بعث الله الرسل، فمن مقتضى رحمته أن يرسل الرسل مبشرين ومنذرين؛ ليعرفوا الناس بخالقهم، ويدلوهم على ربهم، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾ [القصص: ٥٩].

الموضع الحادي عشر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۖ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس: ٥٢].

جاءت الآية في سياق الحديث عن أهوال يوم القيامة، وما يسبقه من نفخ في الصور وبعث وحشر، والآية تحكي حال المكذبين حين يبعثون من قبورهم، فيفزعون من شدته وهوله، ويصرخون قائلين: ﴿يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۖ ﴾، فيأتيهم الجواب: ﴿ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

قيل: إن الجملة الثانية جاءت جوابًا من قبل الله، ويكون سر التعبير بالرحمن الإشعار برحمته تعالى بهم؛ إذ أمهلهم، فغرتهم رحمته، ولم

يتوبوا، أو الملائكة، أو المؤمنين على جهة التوبيخ والتقريع لهم؛ لكفرهم به[١]، وعليه يكون سر الإتيان باسم الله (الرحمن) في الجواب الإشارة إلى أن من آثار رحمته ــ سبحانه ــ أن أعلمكم بهذا البعث والحشر، وشدته وطوله، وما يكون بعده من ثواب وعقاب، عن طريق إرسال الرسل، وإنزال الكتب؛ لينقذكم من هوله، ولم يفاجئكم به، ولكنكم كذبتم، أو للإشارة إلى أن هذا البعث من مقتضيات رحمته؛ ليثيب المتقين، ويجازي المسيئين، ويقتص للمظلوم من ظالمه.

وقيل: جملة: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ من كلام الكافرين؛ إكمالًا لتحسرهم على تكذيبهم بالبعث، يذكر بعضهم بعضًا بما سمعوه من الرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ فيجيبون به أنفسهم، قاله أبو السعود، والطاهر بن عاشور[٢]، فكأنهم بالتعبير بالرحمن يظهرون الطمع في رحمة الله بهم، ويأملون عفوه عنهم، ويتحسرون على اغترارهم برحمته، وتكذيبهم الرسل في إخبارهم بالبعث والجزاء.

---

[١]) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن = تفسير الثعالبي، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، ت: الشيخ/ محمد علي معوض، والشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، ١٦/٥، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

[٢]) ينظر: إرشاد العقل السليم، ١٧٢/٧، والتحرير والتنوير، ٣٨/٢٣.

الموضع الثاني عشر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٣ – ٣٥].

جاءت هذه الآيات في سياق حجاج الله الذين كفروا في دعواهم الباطلة بوجوب إنزال القرآن على رجل عظيم، قال تعالى حاكيًا عنهم: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزخرف: ٣١]، وجاء ردُّ الله ــ تعالى ــ عليهم ببيان أنه هو الذي يقسم رحمته، وأنهم لا يملكون ذلك، ثم بين أن رحمة الله خير مما يجمعونه من الدنيا وما فيها، ثم بين المولى أن امتلاك الدنيا وما فيها ليست دلالة على القرب، وأنه لولا الرفق بالمؤمنين من أن يفتنوا في دينهم، فيجتمعوا على الضلال والكفر؛ لاعتقادهم أن الله أعطى الدنيا لأهل كرامته ومن يحب؛ لأعطاها بكل ما فيها من مظاهر التنعم لأعتى الناس في الكفر، وأشدهم جرأة عليه، ﴿لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ فليست الدنيا دار كرامة لأوليائه.

وإيثار التعبير باسم الله (الرحمن) في سياق الحديث عن كفر هؤلاء ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾؛ للمبالغة في تحقير شأن الدنيا؛ إذ أعطاها لشر الخلائق، وأدناهم منزلة، للكافر بالرحمن الذي بلغ

في كفره مبلغًا لا يصل إليه غيره؛ إذ إنه يكفر بالمنعم، ومع كفره تتوالى نعم الرحمن عليه الذي لا منتهى لها برحمته، فلا يعاقبه بحرمان الدنيا؛ لأنها ليست دارًا للكرامة، وهي أقل وأهون من أن تكون ثوابًا للمتقين، أو عقابًا للمخالفين.

الموضع الثالث عشر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٦].

بعد أن ردَّ المولى عليهم ردًّا مفحمًا توعد من تعامى عن الحق، عن ذكر الرحمن الذي عمت رحمته الوجود، وأتبع خطوات الشيطان، بأنه سيقيض له بسبب إعراضه شيطانًا يكون قرينًا له يلازمه، بل يحيط به، فلا يمكنه التخلص منه، يعده، ويمنيه، يزين له المعصية، ويرغبه في الشر.

وآثر النظم القرآني التعبير باسم الله (الرحمن)؛ للإيذان بأن الذكر وهو القرآن رحمة للعالمين، بل هو أعظم رحمة، وأجل منة من الله رب العالمين، فالإعراض عنه إعراض عن الرحمة، والتعامي عنه قمة التعامي الذي لا رجاء بعده في الذي تعامى عنه.

وانظر إلى المفارقة بين من ابتعد عن الرحمن الذي هو مصدر كل رحمة، واقترب من الشيطان الذي هو مصدر كل شر، أي سفاهة وحمق هذا؟! إنسان تمتد إليه رحمة الرحمن فيردها، بل بعد رفضها يقترب من الشيطان الرجيم الذي هو مصدر البلاء والشقاء.

وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (الله) في مقام حجاج الكافرين في ادعاء الولد:

ومن القضايا التي جاء النظم القرآني بالتعبير فيها باسم الله الرحمن في حديثه مع الكافرين حجاجهم في ادعائهم الولد له ــ سبحانه ــ وذلك في مواضع عدة هي:

الموضع الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣ ﴾ [مريم: ٨٨ – ٩٣].

ورد اسم الله (الرحمن) في هذه الآيات أربع مرات، الأولى: جاء على لسان الكافرين الذين ينسبون الولد إلى الله، والثانية: تعليل لما يحدث للسماوات والأرض والجبال جراء هذا الادعاء الشنيع، والثالثة: نفي اتخاذ الولد عن الله، والرابعة: إخبار عن إقرار الجميع بالعبودية لله.

واسم الله الرحمن في هذا المقام قائم مقام اسم الجلالة (الله)؛ لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ ﴾ [البقرة: ١١٦]، فهناك علاقة بين هذا الادعاء والتعبير باسم (الرحمن).

والتعبير باسم الله ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ هنا حكاية لقولهم، وسر إيثاره دون غيره من أسماء الله الحسنى؛ الإشارة إلى بطلان هذا الادعاء، وسفه عقولهم، وشدة حمقهم وغباوتهم؛ لمنافاة اسم الله (الرحمن) لهذا المعنى الذي ألصقوه به؛ وذلك من عدة وجوه:

الأول: أن (الرحمن) يدل على عموم رحمته، وأنه مبدأ النعم ومنتهاها، فكل ما سواه نعمة منه، وأنه هو المنعم الذي يفتقر إليه الجميع، ولا يفتقر هو إلى أحد، فهو مستغن عن خلقه، فكيف يكون مفتقرًا إلى ولد! فالولد يكون لافتقار إليه، للحاجة إليه، كالاستعانة به، أو الاستغناء به، والرحمن لا حاجة به إلى ذلك؛ ولذا قال سبحانه: ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ٦٨].

الثاني: أن اسم الله (الرحمن) يدل على عموم رحمته التي تشمل الجميع، وافتقار الجميع إليه، ولو كان له ولد لكان مستغنيًا عن رحمته، مطلوبًا منه برُّهُ ورحمته، وهذا يتنافى مع كونه يفيض الرحمة على الجميع، وأنه هو الذي ينزلها، ولكان الولد مساويًا له في ألوهيته بالبنوة، وكان الله ــ تعالى عن ذلك ــ مفتقر إلى رحمة ابنه، وذلك ينافي كونه الرحمن الذي يفيض الرحمة على الجميع[١].

الثالث: أنه لو كان له ولد لكان مشابهًا له، مشاركًا له في صفاته، ومنها صفة الرحمة، وهي صفة خاصة بالله تعالى[٢].

---

[١]) ينظر: التحرير والتنوير، ١٦/١٧٣.

[٢]) ينظر: مفاتيح الغيب، ٢١/٥٦٧.

الرابع: أن الولد يكون مجانسًا للوالد، ولا شيء من النعم يكون مجانسًا للمنعم الموجد لكل ما سواه، فمن دعا له ولدًا جعله كبعض خلقه، وأخرجه عن استحقاق هذا الاسم[1].

وهناك وجهٌ آخر ألمح إليه الشيخ أبو زهرة فقال: "وذكر الله – تعالى – بوصف الرحمة؛ لأنه ــ سبحانه ــ رحيم بالجميع فكيف يكون مختصًّا بولد أو بصاحبة، ورحمته عامة للعالين؟"[2].

فرحمته شاملة لكل الموجودات، وكل الموجودات مفتقرة إلى رحمته، ولو كان له ولد لا يدخل تحت هذا المعنى؛ أي لا يفتقر إلى رحمته؛ لأنه بالبنوة يكون مساويًا له في الغنى المطلق.

وقوله: ﴿ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾ وإن كان عينَ الأوَّلِ الذي حكاه عنهم في قوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ ﴾، إلا أنه أعاده لقصد التوكيد للمعنى، فهو لزيادة بيان مرجع الضمير في ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾؛ اعتناءً ببيانه، وتسجيلًا لغباوتهم، وذكر النيسابوري أن من فوائد ذكر الرحمن هنا أن فيه إشارة إلى أن رحمة الله أمهلتهم حتى قالوا ما قالوا، ولو كانت الألوهية لأهلكتهم[3].

وبعد إيراد النظمِ القرآنيِّ قَوْلَهُمْ وبيان أثره في كل الموجودات يشرع في إبطال قولهم بالحجة الواضحة، فيقول –سبحانه–: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى

---

[1]) ينظر: نظم الدرر، ٢٤٩/١٢.

[2]) زهرة التفاسير ٤٦٨٩/٩.

[3]) ينظر: تفسير النيسابوري، ٥١٢/٤.

﴿لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾، وما يصح، وما يتصور في العقول أن يتخذ الرحمن ولدًا؛ لأن اتخاذ الولد دليل على النقص والاحتياج، والرحمن غير محتاج إليه، وهذا التركيب معناه النفي على جهة التنزيه له ــ سبحانه ــ عن ذلك، كما أشار ابن عطية عند وقوفه على مثل هذا التركيب، ومعناه: ما يجوز لله أن يتخذ ولدًا، ولا يليق به؛ لجلاله وعظمته وتنزُّهِهِ عن هذا النقص، فجميع الخلائق عبيد له، يجب أن تستوي في الخلق والعبودية.

وبالغ في النفي بإيراد اسم الله (الرحمن) الذي يدل على الغنى المطلق عن كل شيء، وعدم الافتقار إلى شيء، وأدخل لام الجحود على ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾ التي تُنَزِّهُ الرحمن، وتجعله لا يتلاقى لعلوِّ شأنه مع المعنى المنفي عنه.

وفي التعبير بلفظ ﴿ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ عدول عن مقتضى الظاهر بوضع المظهر موضع المضمر، فكان مقتضى الظاهر أن يعبر بالضمير فيقول: وما ينبغي له أن يتخذ ولدًا، لكن النظم آثر التعبير بالاسم الظاهر؛ للإشعار بعلة الحكم، فالضمير عام يدل على الذات فقط، أما الظاهر فإنه خاص يدل على الذات والصفة التي لها أبلغ الأثر في حجاجهم؛ لذا كان التعبير بالاسم الظاهر أقوى وأبلغ في إبراز المعنى وهو نفي اتِّخاذ الولد، بما يحمله هذا الاسم من معانٍ تتنافى مع اتِّخاذ الولد، فهو حجة في ذاته، يحمل دليلَ بطلانٍ لقولهم، فرحمة الرحمن عامة لكل الموجودات لا يخص بها ابنًا يدعونه له، ويشير البيضاوي إلى وجه آخر أنه لا مجانسة بينه ــ سبحانه ــ وبين من نسبوه له؛ إذ هو المنعم المتفضل وما سواه

مُنعَم عليه، فيقول: "ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية؛ للإشعار بأن كل ما عداه نعمة ومُنعَمٌ عليه، فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولى أصولها وفروعها، فكيف يمكن أن يتخذه ولدًا؟"[1].

وغاير قوله – تعالى –: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ ﴾ قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ﴾ في التعبير بالفعل ﴿ يَنۢبَغِي﴾، والتعبير باسم ﴿ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾، للترقي في الرد، فهذه مرحلة ثانية بعد قولهم الأول بأن عيسى – عليه السلام – ابنٌ لله، فعبر هنا بالفعل (ينبغي)؛ للإيذان بأنه لا يتأثر بأقوالهم ولا يستجيب لطلباتهم له باتخاذ الولد، قال الطاهر بن عاشور: "ومعنى ما ينبغي ما يتأتى، أو ما يجوز. وأصل الانبغاء: أنه مطاوع فعل بغى الذي بمعنى طلب. ومعنى، مطاوعته: التأثر بما طلب منه، أي استجابة الطلب"[2]، وعبر بـــ ﴿ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ للترقي أيضًا؛ إذ إن هذا الاسم يحمل حجة بينة تبطل قولهم، وهو أن رحمته عامة لا يمكن أن تخصيص أحدٍ بها، فمن أضاف إليه ولدًا فقد أخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن.

وقوله: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ ﴾ أقام به الحجة على صحة استحالة الولد له ببيان أن جميع الخلائق عبيدٌ له ـــ سبحانه ـــ مقرون بملكه لهم، والولد لا يكون مملوكًا لأبيه، فنفى بإثباته العُبُودِيَّةَ البُنُوَّةَ، فقال – جلَّ شأنه –: ﴿ إِن كُلُّ مَن

---

[1]) تفسير البيضاوي، ٤/٢١.

[2]) التحرير والتنوير ١٦/١٧٣.

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾﴾، والعبودية والولدية يتنافيان، وأتى بالعموم؛ ليشمل كلَّ من نسبوه ولدًا لله من مَلَكٍ وبشرٍ وجنٍّ، فالجميع سيأتي خاضعًا ذليلًا مقرًّا بالعبودية، لا يَدَّعي لنفسه شيئًا مما نسبوه إليه، الكل عبيده، فهل يليق معنى من هذه المعاني بالولد؟! وهل يتخذ أحد الولد من عبيده؟! وهل يستعبد أحد ولده أو يرضى ذلك؟!

يقول الإمام البقاعي: "ولما كان من العبد من يعصى على سيده، عبر بالإتيان فقال: ﴿ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ العام بالإحسان؛ أي منقادًا له طوعًا أو كرهًا في كل حالة وكل وقت ﴿عَبۡدٗا ﴾ مسخرًا مقهورًا خائفًا راجيًا، فكيف يكون العبد ابنًا أو شريكًا؟"[١].

وتكرار اسم الله (الرحمن) يدل على أن هذا الاسم بمدلوله الثابت لله ينافي ادعاء الولد، قال الزمخشري: "وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة أنه هو الرحمن وحده، لا يستحق هذا الاسمَ غيرُه، من قِبَلِ أنّ أُصُولَ النِّعَمِ وفُرُوعَهَا منه: خلق العالمين، وخلق لهم جميع ما معهم، كما قال بعضهم: فلينكشف عن بصرك غطاؤه، فأنت وجميع ما عندك عطاؤه. فمن أضاف إليه ولدًا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن"[٢].

ووجه انتفاء الولد عنه أنه ــ سبحانه ــ مُنَزَّهٌ عنه؛ لأنه محال وذلك من وجوه هي أن: الولادة ظاهر استحالتها، والتبنِّي لا يكون إلا فيما هو

---

[١]) نظم الدرر ٢٤٩/١٢.

[٢]) الكشاف ٤٥/٣.

من جنس المتبنِّي، ولا جنس له ــ سبحانه ــ وأن الولد جزء من أبيه، وذاته لا تتركب من أجزاء، فهو أحد، وأن الولد شبه أبيه، و ــ سبحانه ــ لا مشابهة له أو مماثلة، وكل هذه المعاني لا تليق به ــ سبحانه ــ كما أنه لا حاجةَ له إلى الولد، ولا غرض له فيه كاستعانة به، أو بقاء ذكر؛ إذن فلا علةَ لاتِّخاذ الولد.

الموضع الثاني:

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦﴾ [الأنبياء: ٢٦].

جاءت الآية في سياق رد الله ــ تعالى ــ ادعاء الكافرين أن الملائكة بنات الله بتنزيه المولى عن الولد، وبيان أنهم عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٦ – ٢٨].

والتعبير باسم الله (الرحمن) إبراز لشناعة قولهم وبطلانه كما في سابقه؛ لأن كل ما سواه منعم عليه ومربوب له، وزاد هذا الموضع في رد الادعاء قوله: ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ ﴾ سُبْحانَهُ أي: تنزه تنزيهًا يليق بكمال ذاته، وتقدَّس عن الصاحبة والولد؛ إذ لا مشابهة بينه وبين خلقه، والولد جنس أبيه، ثم أبطل ما قالوه وبين حقيقة من نسبوهم إليه بأنهم عباد، والعبودية تنافي البنوة، إلا أنهم عباد

معصومون من الزلل؛ فلذا فهم مكرمون ومفضلون على سائر الخلق؛ لحسن طاعتهم، وامتثالهم الأوامر.

الموضع الثالث:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الزخرف: ١٧ – ٢٠].

جاءت الآيات في سياق الرد على جملة من شبهات الكافرين الباطلة، وعلى تصحيح اعتقاداتهم الفاسدة، وتصوراتهم المنحرفة، ومنها: أنهم كانوا يكرهون البنات، بل يئدونها بعد ودلاتها، لا يرضون بها لأنفسهم، ويرضونها للرحمن المنعم، فيقولون: إن الملائكة بنات الله، وقد بين المولى فساد تصورهم في أكثر من موضع في القرآن الكريم في الأنبياء، والصافات، والزخرف، والنجم.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ ساقه المولى دليلًا على منتهى قبحهم، وزيادة في توبيخهم في رده عليهم في قضية ادعاء الولد، فبين أنهم لم يقتصروا على هذا الادعاء فقط وهو محال، بل جعلوا قسمه من الولد البنات؛ فجعلوا لله ما لا يرضونه لأنفسهم، واختاروا له أبغض

الأشياء إليهم، وآثر النظم القرآني التعبير باسم الله (الرحمن) دون غير ه من أسمائه الحسنى في قوله؛ للإشارة إلى سخافة عقولهم، وشدة ضلالهم، ودلالة على فساد ما قالوه؛ إذ لم يرضوا لأنفسهم البنات، واسودت وجوههم من التبشير بها مع أنهم جعلوا البنات للرحمن واهب النعم كلها أصولها وفروعها، انظر إلى شدة المفارقة، وهو المنعم، وهم المنعم عليه، ثم إنهم لا يرضون لأنفسهم وهم المنعم عليهم ما يعطونه للمنعم ويرضون له، أي سخف هذا، يرضون لله ما كرهوه لأنفسهم؟! كيف اختارَ لنفسهِ أقل القسمين، واختارَ لكم أعلَاهما، والحكمةُ لا توجبُ أن يختارَ الحكيمُ لنفسهِ الأقل، ويعطي الأعلَى لغيرهِ، ولهذا قال المولى لهم: ﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ١٥٤ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٥٥ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ١٥٦﴾ [الصافات: ١٥٣ – ١٥٦]، وقال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ١٦﴾ [الزخرف: ١٦]، وقال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢﴾ [النجم: ٢١ – ٢٢]، قال الإمام الرازي: "فلو قلنا: إنه اتخذ لنفسه البنات وأعطى البنين لعباده، لزم أن يكون حال العبد أكمل وأفضل من حال الله، وذلك مدفوعٌ في بديهة العقل"[1].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا﴾، مقالة كفر؛ لأنهم جعلوا أكمل العباد وأكرمهم على الله تعالى أنقصهم رأيًا، وأخسهم صنفًا[2]، ففي إضافتهم للرحمن دلالة على القرب

[1]) مفاتيح الغيب، ٦٢٤/٢٧.

[2]) ينظر: تفسير البيضاوي، ٨٨/٥.

والكرامة، ومع قربهم وكرامتهم على الرحمن، فقد احتقرهم المشركون، واستخفوا بهم، وجعلوهم من أخس النوعين الذي لا يرضى به الواحد منهم لنفسه، ففي التعبير بالرحمن بيان لشدة المفارقة بين استخفاف المشركين بالملائكة وجعلهم إناثًا ناقصين نقص الإناث وإكرام الله لملائكته، فهم عباد الرحمن، وفيه تنبيه على غباوتهم؛ أي: أكان يعجزه وهو أصل النعم ومصدرها أن يتخذ لنفسه الذكور.

والتعبير باسم الله (الرحمن) في قولهم: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ﴾ إيماء منهم إلى صحة عبادتهم لهم؛ لأن عموم رحمته تقتضي ألا يتركنا على فعل ما لا ينبغي، ولكنا عبدناهم طوع مشيئته، فعبادتنا لهم حق، ولولا أنها حق يرضاه لعجل لنا العقوبة، وهذا قولهم الذي صرحوا به في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾ [النحل: ٣٥]، وهم قالوا ذلك استهزاء لا إيمانًا، قال ابن عطية: "جعلوا إمهال الله لهم، وإنعامه عليهم وهم يعبدون الأصنام، دليلًا على أنه يرضى عبادة الأصنام دينًا، وأن ذلك كالأمر به، فنفى الله عن الكفرة أن يكون لهم علم بهذا، وليس عندهم كتاب منزل يقتضي ذلك، وإنما هم يظنون ويَخْرُصُونَ ويخمنون"[١].

---

[١]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ)، ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد، ٥/٥٠، الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت –، ط/ الأولى١٤٢٢ هـ.

الموضع الرابع:

قـــال تعـــالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ٨١ ﴾ [الزخرف: ٨١].

جاءت الآية بعد جملة من التهديدات، تأمر رسول الله ﷺ أن يقول لهم هذا القول؛ ليحسم به قضية ادعاء الولد، ثم يتركهم لمصيرهم الذي قصه عليهم قبل هذه الآيات.

والمعنى: قل لهم ــ يا رسول الله ــ ردًّا عليهم في قضية نسبة الولد إلى الله، وعباداتهم الملائكة؛ لكونهم بنات الله: ﴿ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ ﴾ – على سبيل الفرض والتقدير– كما يزعمون ﴿ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ﴾ لهذا الولد، وأسرع الناس إلى طاعته وعبادته، ولكن هذا الفرض محال، وعليه فأنا لا أعبد إلا الله– تعالى– وحده، وأنزهه– سبحانه– عن الولد.

قال الإمام الرازي: "والمعنى أنه ــ تعالى ــ قال: قل يا محمد إن كان للرحمن ولدٌ، فأنا أَوَّلُ العابدين لذلك الولد، وأنا أوَّل الخادمين له، والمقصود من هذا الكلام بيان أني لا أنكر ولده لأجل العناد والمنازعة، فإن بتقدير أن يقوم الدليل على ثبوت هذا الولد كنت مقرًّا به معترفًا بوجوب خدمته إلا أنه لم يوجد هذا الولد، ولم يقم الدليل على ثبوته أَلْبَتَّةَ، فكيف أقول به؟ بل الدليل القاطع قائمٌ على عدمه، فكيف أقول به، وكيف أعترف بوجوده؟"[1].

---

[1]) مفاتيح الغيب، ٢٧/٦٤٦.

وآثر التعبير باسم الله (الرحمن)؛ للفت أذهانهم إلى استحالة القضية؛ إذ كيف ينسبون الولد إلى الرحمن العام الرحمة على جميع خلقه، الغني عن كل شيء، وقد مضى نظيره بما يغني عن إعادته.

والآية قائمة على إرخاء العنان للخصم، وفيها نفي للولد على أبلغ الوجوه وأحسنها، وأوجز عبارة وأتمها في أداء المعنى.

المبحث الثالث

أسرار وضع (الرحمن) موضع غيره من أسماء الله الحسنى، وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وضع (الرحمن) موضع المَلِك.

المطلب الثاني: وضع (الرحمن) موضع الجبار.

المطلب الثالث: وضع(الرحمن) موضع القادر.

المطلب الأول

وضع (الرحمن) موضع المَلِك

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه: ٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ۝٥٩ ﴾ [الفرقان: ٥٩].

ورد التعبير باسم الله (الرحمن) المفيض للنعم في سياق يختص به اسم الله (الملك)، وهو الحديث عن الاستواء على العرش، فالاستواء على العرش كناية عن الغلبة والسيطرة والاستيلاء على مركز القوة والسلطان فيه، ولا يكون إلا للملك الذي خلص إليه الملك بعد التخلص من كل أعدائه، ففيه دلالة على الاستيلاء والقهر والعلو، ويقتضي هذا القيام على هذا الملك وتدبير أمره.

قال الشريف الرضي: "والمراد بالاستواء هاهنا: الاستيلاء بالقدرة والسلطان، لا بحلول القرار والمكان، كما يقال: استوى فلان الملك على سرير ملكه، بمعنى: استولى على تدبير الملك، وملك مقعد الأمر والنهي، وحسن صفته بذلك وإن لم يكن له في الحقيقة سرير يقعد عليه، ولا مكان عالٍ يشار إليه، وإنما المراد نفاذ أمره في مملكته، واستيلاء سلطانه على رعيته"[١].

[١]) تلخيص البيان في مجازات القرآن، للشريف الرضي، ١٥٢/٢، ١٥٣، الناشر/ دار الأضواء ــ بيروت ــ.

والمشاهد الكونية تستخدم في التعبير؛ لإبراز معنى الملك والإحاطة في صورة يدركها التصور البشري، والأمر أكبر من ذلك جدًّا، ولله ما في الوجود كله، وهو أكبر مما في السماوات وما في الأرض، وما بينهما وما تحت الثرى[1].

والحديث عن الاستواء جاء في خمسة مواضع في القرآن الكريم غير هذين الموضعين محل الدرس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد: ٢]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [السجدة: ٤]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ

---

[1]) ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (ت: ١٣٨٥ هـ)، ٢٣٢٨/٤، الناشر/ دار الشروق – القاهرة –، ط/ السابعة عشر ١٤١٢ هـ.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤ ﴾ [الحديد:٤].

وجاء إسناد الاستواء في هذه المواضع إلى ضمير مقدر يعود على اسمه ــ جلَّ وعلا ــ (الله) الذي يفيد القهر والعلو، وهو يناسب الاستواء على العرش تمام المناسبة؛ فإذا كان الاستواء يكون للملك، فإنه من باب أولى يكون لمالك الملوك وهو (الله).

والمواضع السبعة التي يتحدث فيها المولى عن استوائه على العرش جاءت عقب حديثه عن خلق السماوات والأرض، وما فيهما من مظاهر قدرته، ودلائل عظمته، رفع السماء بلا عمد، وسخر الشمس والقمر، وكأن الحديث عن هذه المظاهر مقابلًا للحديث عن استواء الملوك على العرش بعد أن تم لهم الأمر والغلبة، ثم أفرد المولى هذين الموضعين في (طه) و (الفرقان) بالتعبير بالرحمن؛ للإشارة إلى أن استواءه على العرش ليس استواء غلبة وقهر، وإنما استوى على العرش استواء رحمة وفضل يصلح به معاشكم.

الموضع الأول:

قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ ﴾ [طه: ٥]، تقع هذه الآية في مطلع سورة (طه) بعد حديث المولى عن الحكمة من إنزال القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤

ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه: ١ – ٥]، وبيان أنه ليس للإعنات والمشقة، وإنما هو تذكرة ودعوة، وإنذار وتبشير، وترهيب وترغيب، نزل من قبل الرحمن الذي خلق الأرض والسماوات العلى، وبمقتضى رحمانيته لا ينزل على عبده ما يشقى به، فصفة الرحمة هي التي تلائم هذا المعنى.

فجاء اسم الله (الرحمن) عقب الحديث عن نزول القرآن، وخلق السماوات والأرض؛ للإشارة إلى أن نزول القرآن الكريم رحمة منه بالعالمين، ومن تمام رحمته ألا ينزل على عبده ما يشقى به، وللإشارة إلى أن خلق السماوات والأرض أثر من آثار رحمته، وقد دعانا إلى النظر في آثار رحمته، فقال جل شأنه: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٥٠ ﴾ [الروم: ٥٠]، وأن إبداعها على هذا النحو فضل منه، لا موجب له عليه.

وللإشارة إلى أن الاستواء على العرش ليس معناه القهر والاستعلاء، وإنما استوى على عرشه رحمة بالعالمين، ينظم معاشهم، فالاستواء لا يعود إليه، وإنما يعود إليهم.

وفي طي الإخبار عن استواء الله ــ جلَّ جلالُه ــ على العرش إعلام بأن ملك الكون كله في قبضته، وأنه هو الذي يدبر أمر رعيته منفردًا، وهذا من مظاهر رحمته؛ إذ إنه لم يكل أمورهم إلى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فأخباره باستوائه على عرشه، واستيلائه على كونه فيه طمأنة لهم على أمر معاشهم ومعادهم، وحركة حياتهم.

وجاء مصاحبًا لاسم الله (الرحمن) الحديث عن قدرته وعلمه اللذين لا يتم الملك إلا بهما، فقدرته أبان عنها بقوله: ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ﴾ [طه: ٤]، وقوله: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ ﴾ [طه: ٦]؛ أي: بخلق السماوات والأرض، وملكه لهما، وما بينهما، وما تحت الثرى، وعلمه أبان عنه بقوله: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه: ٧]، أحاط بكل شيء علمًا، فهو يعلم الجهر والسر، وما هو أخفى من السر.

والحديث عن قدرته بهذا النحو يرهب السامع من مظاهر قدرته، والحديث عن علمه بهذا النحو يرهب السامع كذلك مما يعلمه المولى عنه من جرائره وعصيانه، فلو أتى باسمه (الملك) في هذا السياق بما يقتضيه اسم (الملك) من المؤاخذة والعقاب؛ لكان السياق مفعمًا بجو من الترهيب لا يناسب مقصود السورة التي تحتوي على التأنيس لرسول الله ﷺ فقطعًا لجو الترهيب ناسب الإتيان باسم الله (الرحمن) طمأنة وتأنيسًا للعباد.

والاستواء على العرش يفضي إلى تدبير مصالح العباد، كما قال المولى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ [يونس: ٣]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢﴾ [الرعد: ٢]، فأشار باسمه (الرحمن) إلى أنه يدبرها برحمته التي تعم الوجود، رحمة تساندها قدرة وعلم، وقدرته وعلمه لا تغلبان رحمته، فكل ما يجري في الكون هو من آثار هذه الرحمة، حتى عقاب العاصين رحمة منه بالمجتمع ينظم به أحوال المجتمع.

الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٩].

هذه الآية جاءت عقب آيات يأمر المولى فيها نبيه بالتوكل عليه، وتسبيحه، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

جاء اسم (الرحمن) دون غيره؛ لملاءمته للمقام، وهو الأمر بالتوكل، فالمتوكل على الرحمن الذي عمت رحمته الوجود يسعفه بحاجته، قال الطاهر بن عاشور: "فإن وصف الرحمن أهم في الغرض المسوق له الكلام وهو الأمر بالتوكل عليه؛ فإنه وصف يقتضي أنه يدبر أمور من توكل عليه بقويِّ الإسعاف"[1].

وعقب القرآن الكريم بقوله: ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ أي: إن غابت عنك مظاهر رحمته في نفسك، وفي الكون من حولك ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾، وبدلًا من وصف رحمته ــ تعالى ــ أحالهم إلى سؤال عليم عنها، مجرب لها؛ لأن العبارة لا تفي بالحديث عنها، ونكر ﴿خَبِيرًا ﴾ لبيان عموم وشمول رحمته التي لو سئلت عنها أي خبير مجرب لنطق وأعلمك بمظاهرها.

---

[1]) التحرير والتنوير، ١٩/٦٠.

فالتعبير باسم الله (الرحمن) استنهاض لهمم المخاطبين المأمورين بالتوكل، وحث لهم عليه؛ إذ إنهم سيتوكلون على قوي قادر صاحب السلطان القائم على هذا الوجود الذي استوى على العرش، يدبر شئون عباده، الرحمن الذي عمت رحمته الوجود.

الموضع الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [طه: ١٠٨ – ١٠٩].

جاءت هاتان الآيتان في سياق الحديث عن اليوم الآخر وما فيه من أهوال عظام من نفخ في الصور يتبعه حشر الناس، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [طه: ١٠٢ – ١٠٣]، والحديث عما يتبع ذلك من نسف الجبال، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [طه: ١٠٥ – ١٠٧]، ثم يأتي بعد ذلك تصوير شيء من أهوال يوم القيامة وهو إتباع الداعي وخضوع الجميع لله الملك الحق.

هذا السياق يناسبه الملك الذي يخضع الجميع له في ساحة القضاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [طه: ١٠٨].

أخبر بخشوع الجميع في موقف القضاء وساحة الحشر، وانقيادهم لدعوة الداعي، وخفوت جميع الأصوات وخضوعها لله، وعدل عن الملك مما يناسب هذا المقام الذي يمتلأ بمظاهر الرهبة والتخويف إلى التعبير باسم الله (الرحمن)؛ للإيذان بأن موقف القضاء، وساحة الحشر، وحكم الله بين الخلائق، ويوم القيامة وما فيه من ثواب وعقاب، كل ذلك من مظاهر رحمته؛ حتى يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، قال الشيخ أبو زهرة: "وصف بالرحمة؛ لأنه يوم العدل، والعدل هو الرحمة، فكل يأخذ حقه، ويؤدي ما عليه، ويحاسب على ما قدمت يداه"[1]، وللإشارة إلى أن حكمه بين الخلائق ليس من مظاهر سطوته، ولا قوة بطشه، وشدة انتقامه، ولا يفعل كما يفعل الملوك، إنما كل ذلك يسير في نطاق رحمته، فهو رحمن رحيم في عدله وعقوبته، كما أنه رحمن رحيم في فضله وإحسانه.

ثم عقب بالحديث عن مظهر آخر من مظاهر هول هذا اليوم، وهو أنه لا تنفع فيه خلة ولا شفاعة، ولا يؤذن لأحد فيه بالكلام، قال تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩ ﴾ [طه: ١٠٩]، وعبر بالرحمن؛ للإشارة إلى أن إذنه لمن يتكلم هو محض تفضل منه ورحمة، ولا يكون إلا لمن رضي قوله وعمله؛ فيكون إذنه إكرامًا للشافع؛ لاستقامته وعدالته في قوله، لا إزالة لعذاب، أو زيادة في ثواب، فالله يعلم الجزاء حق العلم، فلا يملك الشافع تغيير المقدور، وإنما تكون شفاعة الشافع رحمة بالعباد بإنفاذ المقدور المقدر في علم الله المكنون[2].

---

[1]) زهرة التفاسير، ٤٧٨٩/٩.

[2]) ينظر: السابق، الصفحة نفسها، والتي تليها.

الموضع الرابع:

قال الله عز وجل: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٦].

وسياق الآية الحديث عن يوم القيامة، وما فيه من أهوال تشقق السماء بالغمام، يعض الظالم على يديه، إلى غير ذلك من مظاهرها وأهوالها في يوم عسير شديد على الكافرين.

وقيد الملك بقوله: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ مع أن الملك كله لله على جهة الثبوت والحق، ولا يمكن زواله على الدوام لا في هذا اليوم فقط؛ للإشارة إلى أن مظاهر ملكه في هذا اليوم لا ينازعه فيها أحد، بل يخضع له جميع الملوك، وتعنو له كل الجباه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ ﴾ [طه: ١١١].

ويناسب هذا في الظاهر: الملك يومئذ لله أو للملك، إلا أن النظم القرآني عدل عن كل الأسماء التي توحي بالشدة والمؤاخذة إلى الاسم الذي يضفي مزيدًا من الرحمة والإيناس (الرحمن) البالغ الرحمة؛ للإيذان بأن تمام رحمته توجب معاقبة الكافرين على كفرهم، وإثابة المتقين، ومن تمام رحمته ألا يسوي بين المحسن والمسيء، فمؤاخذة الكافرين من مظاهر رحمته بالطائعين، أو كما يقول عبد الكريم الخطيب للإشارة إلى أن: "حساب الناس في هذا اليوم هو إلى ربّ رحمن، رحيم، وأن ما ينال العصاة والمذنبين، والمنحرفين من عذاب، هو ممسوس برحمة الله، لا يراد منه، إلا تطهير هذه النفوس الخبيثة، وإلّا شفاء هذه القلوب المريضة، وليست النقمة ولا التشفي مما يتصل بهذا العذاب الذي يلقاه العصاة؛ فإنه

لا ينتقم ولا يتشفّى إلا من كان عاجزًا فقدر، وإلّا من كان عدوًّا، فقهر، ثم انتصر، وتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فالناس خلقه، وصنعة يده هو الذي أوجدهم، وربّاهم، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، ولا يتفق الانتقام والتشفّي، مع الإنعام والإحسان"[1].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ كلام مستقل من مبتدأ وخبر، تم به المعنى، فالإخبار بأن الملك في هذا اليوم خالص لله من مظاهر رحمته، فكأنه يطمئن عباده إلى أن أمرهم في موقف القضاء موكول إلى الله، فلا يخافون أن يقعوا تحت سطوة جبار أو ظالم.

ومن مظاهر رحمانيته أنه أعلمنا أن هذا اليوم سيكون شديدًا عسيرًا على المخالفين المكذبين، فأنذرنا منه، وما فاجأنا به[2].

الموضع الخامس:

قال تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النبأ: ٣٧ – ٣٨].

سياق الآيات الحديث عن جزاء المتقين الذي أنعم الله به عليهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾

---

[1]) التفسير القرآني للقرآن، ١١/١٠.

[2]) ينظر: تفسير الشعراوي، ١٠٤٢٢/١٧.

[النبأ:٣١ – ٣٦]، ثم بين أن هذا الجزاء إنما هو محض تفضل وإنعام من ربهم الرحمن ــ جلَّ في علاه ــ فمدار الجزاء هو ربوبيته ورحمانيته، ووصف ذاته بالربوبية للسماء والأرض وما بينما؛ للإشارة إلى أن ربوبيته فضل منه ورحمة، وخلقه للسماوات والأرض فضل منه ورحمة، وجنته التي منحهم إياها فضل منه ورحمة، فلن يدخل أحد الجنة بعمله، كما في حديث رسول الله ﷺ، فعن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: "سددوا وقاربوا، واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة، وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ"[١].

وأتى بما يدل على الجبروت بعد وصف ذاته بالرحمة، فقال ــ سبحانه ــ: ﴿ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ٣٧ ﴾ [النبأ: ٣٧ – ٣٨]؛ أي: إن أهل السماوات والأرض لا يملكون مع ذاته ــ سبحانه وتعالى ــ أو مع غيره خطابًا؛ أي: لا يستطيعون أن يتكلموا بكلمة في حضرته معه، أو مع غيره، قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ١٠٨ ﴾ [طه: ١٠٨]، فضلًا عما فوقه.

وقوله: ﴿ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ٣٧ ﴾ فيه إشارة إلى أن منحه المتقين الجنة إنما هو من مظاهر رحمته، فلو ساقهم إلى النار لما كان لهم على الله حجة، ولا يملكون خطابًا أو مراجعة[٢].

---

[١]) صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل، رقم الحديث: ٦٤٦٤، ٩٨/٨.

[٢]) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، ١٤٢٦/١٦.

ثم زاد في تصوير هول ذلك اليوم وشدته بقوله: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النبأ: ٣٧ – ٣٨]، إخبار بأن الروح والملائكة سيقفون صفًّا، لا يتكلمون بكلمة واحدة، ومثله قوله سبحانه: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم: ٢٦].

وقول تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾؛ أي: أذن له إذنًا خاصًّا، وهذا السياق يوحي بمظاهر العظمة والملك والجبروت، إلا أن النظم عدل إلى التعبير باسم الله (الرحمن)؛ للإشارة إلى أن مناط الإذن هو الرحمة البالغة لا أن أحدًا يستحقه عليه ــ سبحانه وتعالى[1]، وبشرط آخر وهو أن يتكلم بالصواب.

وتقييد الإذن لمن يتكلم بأن يقول صوابًا: ﴿ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ هو من آثار رحمة الله؛ إذ لا يسمح لأحد أن يتكلم إلا بما فيه نفع عباده من الشفاعة أو الاستغفار لهم؛ ولذا جعل الأذن صادرًا من الرحمن، إذن يحصل به النفع.

[1]) ينظر: إرشاد العقل السليم، ٩/٩٤.

المطلب الثاني

وضع (الرحمن) موضع الجبار

معلوم أن الرحمن اسم يدل على بالغ رحمته ــ جلَّ وعلا ــ ولا يناسب في الظاهر الحديث عن العذاب والعقاب، وإنما يكون مناسبًا لعظيم عفوه، وجميل إحسانه ومنه، إلا أننا نجد اسم الله (الرحمن) قد ورد في مواطن العذاب والعقاب، فعذاب الطغاة ينبثق من رحمة الرحمن، فمن كمال الرحمة أن يجد الشر جزاءه، وألا يتساوى مع الخير في مصيره.

قال محمد رشيد رضا: "ولا ينافي عموم الرحمة وسبقها ما شرعه اللهُ من العقوبات في الدنيا، وما أعدَّهُ من العذاب في الآخرة للذين يتعدَّون الحدود، وينتهكون الحرمات، فَإِنَّهُ وإنْ سُمِّيَ قهرًا بالنِّسبة لصورته ومظهره فهو في حقيقته وغايته من الرحمة؛ لأن فيه تربيةً للنَّاس وزجرًا لهم عن الوقوع فيما يخرج عن حدود الشريعة الْإِلَهِيَّةِ، وفي الانحراف عنها شقاؤهم وبلاؤهم، وفي الوقوف عندها سعادتهم ونعيمهم، والوالد الرَّءُوف يربِّي ولده بالترغيب فيما ينفعه والإحسان عليه إذا قام به، وربما لجأ إلى الترهيب والعقوبة إذا اقتضت ذلك الحال، ولِله المثل الأعلى لا إله إلا هو وإليه يرجعون"(١).

الموضع الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ [مريم: ٤٥].

---

(١) المنار، ١/٤٣.

آثر النظم القرآني اسم الله (الرحمن) هنا دون الجبار الذي يبدو متسقًا مع ظاهر الحال؛ للتناسب مع الآية قبلها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [مريم: ٤٤]، فإنه لما نهاه عن اتباع أمر الشيطان؛ لمداومته على عصيان الرحمن، أتبع ذلك ببيان العاقبة وهي الحرمان من رحمة الله؛ فلذا عبر باسم الله (الرحمن)، وقيل: عبر بالرحمن؛ لإظهار مزيد الشفقة والتلطف في إنذار أبيه، وهذا غاية الأدب من خليل الله إبراهيم ــ عليه السلام ــ سلك معه سبيلًا يعتمد على الحكمة واللطف، فخوفه باسم الله الرحمن، وهو أسهل من تخويفه باسم الجبار أو المنتقم، قال الزركشي:"فإنه لم يخل هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه؛ حَيْثُ لم يصرح فيه بأن العذاب لَاحِقٌ له، ولكنه قال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ فَذكر الخوف والمسَّ، وذكر العذاب ونكره ولم يصفه بأنه يقصد التهويل، بل قصد استعطافه؛ ولهذا ذكر الرحمن، ولم يذكر المنتقم، ولا الجبار"[1].

وقال الطاهر بن عاشور لِلْإِشَارَةِ: "إلى أن أصل حلول العذاب بمن يحل به هو الحرمان من الرحمة"[2]، فأعظم مظاهر العذاب هي الحرمان من الرحمة.

وفيه إشارة إلى أن عذاب الله له ليس على وجه الانتقام والجبروت، بل هو من مظاهر رحمته، فالعصيان يقتضي العذاب ممن هو موصوف بالرحمة الكاملة؛ فإن كمال الرحمة على المطيعين لا ينافي كمال الغضب

---

[1]) البرهان، ٣/٣٨١.

[2]) التحرير والتنوير، ١٦/ ١١٧.

على العاصين المتمردين[١]؛ حتى لا يستوي المسيء مع المحسن، وفيه تهديد بالغ من طرف خفي؛ لأن وقوع العذاب من الرحمن أكثر وقعًا على النفس، وإيلامًا لها من وقوعه من الجبار؛ إذ أتى العذاب من مأمنه، أو أن عذاب الرحمن أشد من عذاب الجبار؛ لأنه أتى بعد إمهال وعفو، فالرحمن إذا عذب فإنما يكون عذابه بعد إنعام وإمهال وحلم، فغضبه لا يسبق رحمته؛ عذابه يكون بعد إغراق في المعصية ممن يستوجب العذاب، وهذا يوجب أشد العقاب، أما الجبار أو القهار فالذي يتبادر من هذه الأسماء هو الإسراع إلى مدلول هذه الصفات، أما (الرحمن) إذا ورد في مقام العذاب فهذا دليل على أن مستحق العذاب قد أمهله المولى برحمته إلى ما لا غاية بعده؛ حتى أتى ما لا مزيد عليه مما يوجب العذاب، ويبعده عن رحمته، ففيه إشارة إلى فظاعة جرمه، وبلوغه حدًّا جعل من شأنه الرحمة الواسعة غاضبًا عليه، ومعذبًا له، وبعد الوقوف على هذا المعنى وجدته في إشارة للطاهر بن عاشور؛ حيث يقول: "عبر عن الجلالة بوصف الرحمن للإشارة إلى أن حلول العذاب ممن شأنه أن يرحم إنَّما يكون لفظاعة جرمه إلى حَدٍّ أن يحرمه من رحمته من شأنه سعة الرحمة"[٢]، ولا جُرْمَ أفظع من أن يكون الإنسان عبدًا للشيطان يتبع أوامره، ويرتكب ما يريده من المنهيات والآثام والشرور.

وقيل: للإشعار بأن رحمة الله لا تدفع حلول العذاب، وفي ذلك إشارة إلى النهي عن الاغترار بسعة رحمة الله في الاجتراء على معصيته، وذلك

---

[١]) ينظر: التفسير المظهري، للمظهري، محمد ثناء الله، ت: غلام نبي التونسي، ٩٩/٦، الناشر: مكتبة الرشدية – باكستان –ط: ١٤١٢ هـ.

[٢]) التحرير والتنوير، ١١٨/١٦.

أبلغ في التهديد، ومعناه: لَا تَغْتَرُّوا بسعة رحمة اللهِ ــ تعالى ــ فِي الاجتراء على معصيته، فإنه مع ذلك لا يرد عذابه عنكم[١]، أو أن التعبير بالرحمن فيه إشارة إلى ما يرفل فيه أبيه الآن من ألوان النعم، وصنوف الرحمة الإلهية، لا إلى وضعه بعد وقوع العذاب[٢]، أو الإشارة إلى أن عذاب الدنيا وإن عظم يستبطن الرحمة؛ لأنه معالجة وتهذيب، وهو أهون من عذاب الآخرة، فالرحمن لا يعطي ألمًا موجعًا إلا أن يكون في طيه رحمة، يستعذبها من قام به الألم، كشرب الدواء المر الذي يوجب استعماله العافية[٣]، أو عبر بالرحمن؛ إغراء لوالده بالتوبة، وإعلامًا له بأن الباب لا يزال مفتوحًا، فالرحمن يقبل توبة التائب.

وظاهر الآيات ــ كما يبدو ــ ينهى فيها خليل الله إبراهيم ــ عليه السلام ــ أبيه عن أصل المفاسد والشرور، وأفظع المنكرات وأغلظها، وهي عبادة الشيطان، ويخوفه من عقابه، مما لا يناسبه في الظاهر اسم الله (الرحمن)، ولكن السر هو أنه يومئ إلى أنه بعبادته للشيطان يطرد من رحمة الرحمن فلا تناله، وهذا أبلغ التخويف وأعظمه، إذا كان الرحمن بما له من بالغ الرحمة لا يرحمه وسيعذبه؛ لإتيانه ما يوجب ذلك، فكيف بالجبار القهار، فإثبات الأدنى يستلزم إثبات الأعلى وزيادة، ولو قال: الجبار أو القهار؛ لكان من الممكن أن يظنوا أنه ستشفع فيهم صفة الله الرحمن عند صفة الله القهار أو الجبار؛ أي: ستشفع ذاته عند ذاته.

---

[١]) ينظر: البرهان، ٩١/١، وإرشاد العقل السليم، ٢٦٧/٥.

[٢]) ينظر: الفتوحات المكية، لابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ)، ٥١١/١، الناشر/ دار صادر ــ بيروت.

[٣]) ينظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الموضع الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ﴾ [مريم: ٦٩].

جاءت الآية في سياق آيات تبدأ بالتعجب من هذا الإنسان الجاحد المعاند الذي ينكر البعث ويستبعد إعادته بعد موته، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ ﴾ [مريم: ٦٦]، ثم يسوق المولى دليلًا على البعث، وهو قياس الإعادة على البدء، قال تعالى: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾ [مريم: ٦٧]؛ وتقرير الحجة: أن من كان قادرًا على خلقه ابتداء وهو لم يك شيئًا، فالإعادة عليه أهون بعد أن كان شيئًا، ثم يتوعده في آيات، قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم: ٦٨ – ٧١]، يقسم المولى بذاته أنه سيحشرهم هم وشياطينهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، ثم يحضرهم حول جهنم، ثم ينزع من كل طائفة وجماعة أيهم أكثر عتوًّا وجراءة، وتمردًا وكفرًا على الرحمن الذي غمرهم بإحسانه، فيأخذ الأعتى فالأعتى، الذي بلغ الغاية والنهاية في الكفر والطغيان، فيطرح في النار: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ﴾ [مريم: ٦٩]، وخص أئمتهم في الكفر

والضلال بالانتزاع؛ لضلالهم وإضلالهم، فليس عذاب الضال المضل كعذاب غيره، وليس عذاب التابع كالمتبوع الذي يزين له المعصية، ليس عذاب قادة الكفر، وزعماء الشر كالأذناب الأتباع الرعاع الهمج، يبدأ بقادتهم وأكابرهم؛ حتى يعلم الأتباع الأذلاء الصاغرين هوان هذا العاتي على الله، فينقطع أملهم جميعًا في النجاة، ويعلموا أن الله شديد العقاب، كما علموا في دنياهم أنه رؤف رحيم غمرهم بكمال رحمته وإحسانه، وسر ورود اسم الله (الرحمن) في هذا المقام الذي يمتليء بالرهب والتخويف والإنذار، والذي يناسبه ظاهرًا القوي والعزيز والقادر، الإشارة إلى فظاعة جرمهم؛ إذ إنهم يكفرون به مع عظيم إنعامه عليهم، وإحسانه لهم؛ أي: سيأخذ أشدهم كفرًا وتمردًا، فأشد الكفر كفر من يكفر بالرحمن، فالرحمن حقيق بالشكر والإحسان، لا بالكفر والجحود.

إن الكفر بالرحمن الذي غمرهم إحسانه ونعمه هو قمة الكفر، قال الشيخ أبو زهرة: "وقيل: ﴿ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴾؛ لأنه إذا كان عاتيًا على الرحمن جريئًا عليه، فهو ممعن في الشر إمعانًا؛ إذ هو غير شاكر للرحمة؛ لأنه ممعن في الاستكبار على مصدرها ومرسلها"[1].

إذا كان لم يحفظ حق المنعم الذي يتقلب في نعمه ظاهرًا وباطنًا، ليلًا ونهارًا؛ فإنه لا يحفظ حقًّا، ولا يرعى حرمة، ولا يلتفت إلى دلائل وآيات الله التي تدعوه إلى خالقه وبارئه، ما دام غير ملتفت إلى ظاهر حاله، شاكرًا نعمه عليه.

---

[1]) زهرة التفاسير، ٩/٤٦٧٥.

الموضع الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ٧٥ ﴾ [مريم: ٧٥].

جاءت الآية في سياق حجاج النبي ﷺ هؤلاء المشركين بربهم الذين يدعون أنهم على الحق، وأنه على الباطل، ويحتجون بما لهم من الحظوظ الدنيوية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ٧٣ ﴾ [مريم: ٧٣]، فجاءت الآية التي معنا تأمر النبي ﷺ بأن يقول لهم: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ ﴾؛ أي: لما ذكر دليلهم الباطل، الدال على شدة عنادهم، وقوة ضلالهم، أمر المولى نبيه أن يقول ردًّا عليهم، ودحضًا لشبهتهم: من كان في الضلالة، وعاش في ظلها، بأن رضيها لنفسه، وسعى فيها؛ فإن الله يمده منها، ويزيده فيها حبًّا، ويدعه في طغيانه؛ عقوبة له على اختيارها على الهدى، ويمهله في كفره حتى يلقى ربه، وينقضي أجله[١]، ساعتها سيعلمون من هو شر مكانًا فِي مُقَابَلَةِ مَا احْتَجُّوا بِهِ مِنْ خَيْرِيَّةِ الْمَقَامِ وَحُسْنِ النَّدِي: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴾، وقيل: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ ﴾؛ أي: من كان في الضلالة راسخًا فيها نمده بالمال،

---

[١]) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ٢٢٨/٦.

والولد، وطول العمر، وطيب العيش، والتنعم في الحياة؛ حتى يزداد غيًّا وضلالًا، فإذا وصل إلى الآخرة لا يكون له فيها نصيب[1].

وآثر النظم التعبير باسم الله (الرحمن) في سياق الحديث عن إمهالهم؛ لما أن المد والإمهال وعدم التعجيل بالعقوبة مع استحقاقهم لها مما يتعلق برحمة الرحمن جلَّ وعلا.

وحسن ورود اسم الله (الرحمن) في مقام العذاب؛ لأن العذاب الواقع من الرحمن أعلى أنواع العذاب وأشده؛ لأنه عذاب بعد إنعام؛ فلذا فإنه مؤلم أشد الإيلام؛ أي: فليستدرجه الرحمن استدراجًا بمد عمره، وتوسيع ماله، وتكثير ولده، أو فليمهله الرحمن إمهالًا بمد راحته على الطغيان، وإيصال نعمته على وجه الإحسان حتى يقع في العقاب والعذاب، على سبيل التدريج لا التعجيل، فيكون عقابه وعذابه أكمل وأشمل أثرًا وألمًا؛ لأن الأخذ على طريق التدريج والنعمة، أشد منه على سبيل التعجيل والنقمة، مع أن مبدأ المد مطلقًا هو الرحمن دون القهار أو الجبار؛ لأن كلًّا منهما مبدأ الشدة، ولذلك عبر به لا بغيره، هذا هو الخاطر ببالي في وجه التعبير بالرحمن، وإن كانت أشدية عقاب الرحمن وجهًا، لكن وجه أشدية عقابه ما ذكرنا؛ لأنه إذا أراد العقاب، يأتي به على وجه الرحمة والنعمة، فيكون كدرًا بعد

---

[1]) ينظر: تفسير الطبراني، ٤٨٣/٤، وتفسير البيضاوي، ١٨/٤، وتفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل؛ لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ٣٤٩/٢، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ونظم الدرر، ٢٣٩/١٢.

الصفاء، وألمًا بعد الراحة، وشدةً بعد الرخاء، فهذا أقوى أثرًا، والحاصل: أنه لا يتصور وقوع المد المذكور إلا من الرحمن؛ لأنه أصله ومنشؤه[١].

أو للإشارة إلى أن النعم المترادفة التي يتنعمون بها، وظنوا أنها دلالة استحقاق، وعلامة على أفضليتهم؛ إنما هي محض تفضل ورحمة من الله، لا موجب لها من عملهم؛ حتى يفاخروا بها.

فما هم فيه ــ لو عقلوا ــ ليس مدعاة فخر، إنما هو علامة خسران ومقت، وإمهال من الله، فما هم فيه مظهر من مظاهر رحمة الله؛ ولو شاء أخذهم، وعجل لهم العذاب، ولكنه أمهلهم، وأمهل برحمته من هم أعتى منهم، وأرسخ في الضلال، حتى إذا ردوا إليه وجدوا عاقبة أمرهم خسرانًا وهلاكًا، ساعتها سيعلمون: ﴿ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾، ويدركون: ﴿ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾.

الموضع الرابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يس: ٢٣].

---

[١]) ينظر: روح البيان، ٣٥٢/٥، و حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ٢١٤/١٦، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١ م.

جاءت الآية حكاية عن الرجل المؤمن الذي جاء من أقصى المدينة يسعى يدعو قومه لاتباع المرسلين، ثم شرع في التدليل على وجوب استحقاق الله للعبادة بأدلة، **أولها:** أنه ــ سبحانه ــ هو الذي أبدع خلقه، وإليه مرجعه ومآله، قال تعالى: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يس: ٢٢]؛ ليلفتهم إلى هذا الحقيقة، ثم أتى بدليل آخر يلفتهم إلى عظيم إنعام الله عليه، قال تعالى: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يس: ٢٣]، صرح كذلك بما يعمهم من أن (الرحمن) العام الرحمة على جميع المخلوقات إن أراده بضر من أنواع المصائب والنوازل، فإن هذه الآلهة التي يدعونها من دون الله لا يغنون عنه من الله شيئًا، لا يقدمون له نفعًا من شفاعة، أو يستنقذونه من ضر.

وسر التعبير باسم الله (الرحمن) تذكير لهم بعظيم إنعام الله عليهم، ولفت لهم لما يحيون فيه من مظاهر رحمته، ولو سلبها عنهم؛ لأورثهم ذلك الشقاء، وأن آلهتهم التي يعبدونها من دون الله ليست مصدرًا للإنعام، فهي لا تنفع ولا تضر.

وقد جاء التعبير باسم الجلالة (الله) في قول الله تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ [الزمر: ٣٨]؛ وسر المغايرة اختلاف المقامين، فآية سورة (يس): ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ﴾ جاءت في سياق إلفات القوم وتنبيههم إلى عظيم إنعام الله ورحمته

بهم، فهو الذي فطرهم، وهذه نعمة ترتبت عليها سائر النعم، وقد أنعم بها ــ سبحانه ــ رحمة وفضلًا؛ فلذا جاء التعبير باسم الله (الرحمن).

أما آية الزمر فسياقها الحديث عن مظاهر عزة الله وقدرته، فهو ــ سبحانه ــ كافٍ عبده، وعزيز ذو انتقام، وخالق السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الزمر: ٣٧]، وقال جل شأنه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ فناسبه اسم الجلالة (الله) الدال على مجامع العظمة[١].

وقد تلطف هذا الداعية الرائع في دعوته فأورده في صورة النصح لهم، وبين لهم أنه يختار لهم ما يختاره لنفسه، وأجمل في هاتين الآيتين دلائل استحقاق الله للعبادة من جميع الجهات التي بها تصرف العبادة إليه، فهو الخالق الذي فطره، وهو القاهر الذي إليه المرجع، وهو الرحمن المنعم بشتى صنوف النعم وألوانها، وهو الضار الذي لا يملك أحد نفعًا من دونه، ولا شفاعة عنده؛ لذا فإنه يدعوهم إليه؛ إذ لا يصلح للعبادة غيره من أي وجه، وإن أعرض عن العبادة له، وسوى به شيئًا من المعبودات الباطلة، فهو في غاية الضلال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يس: ٢٤]؛ لأنه اختار ما لا ينفع ولا يضر، وسواها بالخالق الرحمن الذي لا نعمة إلا منه.

---

[١]) ينظر: مفاتيح الغيب، ٢٦٦/٢٦.

المطلب الثالث

وضع (الرحمن) موضع القادر

القدرة: هي التمكن من إيجاد شيء، فالقدرة على الشيء: القدرة على إيجاده، وإذا وصف بها الإنسان فاسم لهيئة له بها يتمكن من فعل شيء ما، وإذا وصف الله ــ تعالى ــ بها فهي نفي العجز عنه، ومحال أن يوصف غير الله بالقدرة المطلقة معنى، وإن أطلق عليه لفظًا، بل حقه أن يقال: قادر على كذا، ومتى قيل: هو قادر، فعلى سبيل معنى التقييد؛ ولهذا لا أحد غير الله يوصف بالقدرة من وجه إلا ويصح أن يوصف بالعجز من وجه، والله ــ تعالى ــ هو الذي ينتفي عنه العجز من كل وجه، والقدير هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضي الحكمة لا زائدًا عليه ولا ناقصًا عنه؛ ولذلك لا يصح أن يوصف به إلا الله ــ تعالى ــ قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٢٠﴾ [المائدة: ١٢٠][1]، وقد جاء التعبير بالرحمن في مواطن يقتضي ظاهرها التعبير بالقادر؛ وذلك لأسرار تتكشف بالسياق.

الموضع الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣﴾ [الملك: ٣].

---

[1]) ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، ص٧١، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، والمفردات، ٣٩٤، والكليات، ١١١٧/١.

جاءت الآية في مطلع سورة الملك، ومقصود السورة إعطاء البشرية تصورًا كاملًا عن الخالق ــ جلَّ وعلا ــ عن الملك والعظمة والهيمنة والجلال، بالنظر إلى الملك الذي بيده ــ سبحانه ــ وقدرته على كل شيء، وخلقه السماوات والأرض، وغير ذلك من المشاهد التي احتوتها السورة؛ ليثير في نفوسهم التأمل في مظاهر الكون الغافلين عنها، والتي تدلهم على عظمة خالقهم ــ جلَّ وعلا ــ وخلق السماوات على هذا النحو المحكم من أبرز المظاهر والدلائل على عظيم القدرة الإلهية، والله قد ذكرها في دلائل قدرته في أكثر من موضع في كتابه، منها قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ۖ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

ودعانا إلى التأمل في خلقها؛ لتدلنا على عظيم قدرته، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر: ٥٧].

وأثنى على نفسه معظمًا؛ لخلقه لها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ﴾ [الأنعام: ١].

وجعلها سبيلًا من سبل الدعوة إليه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣].

وجعل خلقها شيئًا لا يماري فيه أحد، أو يمكن أن يدعيه أحد؛ لأنه فوق قدرة البشر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١].

وهنا يدعونا الخالق ــ سبحانه وتعالى ــ إلى النظر إلى يد القدرة التي أبدعت خلق السماوات على هذا النحو الذي أخبر عنه المولى بقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ [الملك: ٣].

وفي الآية عدول عن المضمر إلى المظهر؛ إذ الأظهر: الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلقها من تفاوت.

وعدول عن التعبير بما يناسب خلق السماوات على هذا النحو المحكم من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى نحو: القدير، المبدع، وغير ذلك إلى التعبير باسم الله (الرحمن).

وسر العدول عن المضمر إلى التعبير بالاسم الظاهر الإشعار بعلة الإحكام والإتقان في خلقها، وهو الرحمة.

والتعبير باسم الله (الرحمن) دون غيره من أسماء الله الحسنى التنبيه على سبب سلامتهن من التفاوت[1]، وهي رحمته التي عمت الوجود، ولولا رحمته ما أحسن إلى خلقه ببديع ما خلقه لهم بمثل هذا التناسب الذي يلائم نظام عيشهم، وهيأه لهم من كون صالح لمعاشهم مع إعراضهم وذنوبهم،

[1]) ينظر: الكشاف، ٥٧٦/٤، ومفاتيح الغيب، ٥٨٢/٣٠، والبحر المحيط، ٢٢١/١٠.

ولو كان في خلقه تفاوت؛ لكان ذلك التفاوت سببًا لاختلال النظام فيتعرض الناس للأهوال والمشاق [١].

أو عبر بالرحمن؛ لبيان أنه خلقها رحمة وتفضلًا، وأن في إبداعها نعمًا جليلة، وللإشارة إلى أنه ــ سبحانه ــ خلق جميع المخلوقات، وأبدع خلقها برحمته[٢].

الموضع الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ [الملك: ١٩].

وردت الآية في سورة الملك التي تعنى باستثارة العقول ودعوتها إلى التأمل في الكون؛ لتتعرف على مظاهر قدرة الله ــ عزَّ وجلَّ ــ ومقصود الآية التنبيه على عظيم قدرة الله.

فالله ــ سبحانه وتعالى ــ يدعونا إلى التأمل في مظاهر قدرته، ومنها إمساك الطير في جو السماء، وهذا يناسبه، ما يمسكهن إلا الله أو القدير، إلا أن النظم عدل إلى اسم الله (الرحمن)، فقال: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾؛ للإشارة إلى أن خلقهن هذا الخلق المتناسب الذي يلائم طبيعة عيشها هو من تمام رحمة الله وفضله، وأن إمساكها في جو السماء، وحفظها من الوقوع، وإمساك السماء، وحفظ البشر كل ذلك من مظاهر رحمة الله ــ جلَّ وعلا ــ كما يشير بعد ذلك إلى خلق الإنسان خلقًا

---

[١]) ينظر: التحرير والتنوير، ١٨/٢٩.

[٢]) ينظر: تفسير البيضاوي، ٢٢٨/٥، وإرشاد العقل السليم، ٣/٩.

متناسبًا مع طبيعة الإكرام الذي منحه الله إياه، فجعله مستويًا مستقيمًا، وزوده بالحواس التي تساعده وتعينه على التفكير والتأمل، قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبّٗا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيّٗا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣ ﴾ [الملك: ٢٢ – ٢٣]، كل ذلك من مظاهر رحمة الله، لا من مظاهر قدرته فحسب.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٧٩ ﴾ [النحل: ٧٩]، جعل المولى من هذا المعنى ــ إمساك الطير في جو السماء ــ آية للمؤمنين، إلا أن التعبير في سورة النحل جاء باسم الجلالة (الله) الذي يدل على كل كمال وجلال، فكان بينها تناسب ظاهر؛ إذ إن اسم الجلالة يدل على مطلق القدرة،

وقد أجاب الغرناطي عن ذلك بقوله: "والجواب، والله أعلم: أن آية سورة الملك لما انطوت على ذكر حالين للطائر من صفة جناحيه وقبضهما، وهما حالتان يستريح إليهما الطائر، فتارة يصف جناحية كأنه لا حركة به، وتارة يقبضهما إلى جنبيه حتى يلزقهما بهما، ثم يبسطهما ويقبضهما موالاة بسرعة، كما يفعل السابح، فناسب هذا الإنعام منه ــ تعالى ــ وورد اسمه الرحمن، أما آية النحل لم يرد فيها ذكر هذه الاستراحة، فقيل هنا: ﴿ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النحل: ٧٩]، وتناسب ذلك،

وامتنع عكس الوارد بما تبين، والله أعلم"[١]، فأوما بذلك إلى أن آية الملك بها مظاهر تعداد النعم، فناسبها ورود اسم الله الرحمن.

وبمثل قوله قال ابن عرفة؛ إذ بين أن سر التعبير هنا باسم الله (الرحمن) أن الآية سيقت هنا للتذكير بالنعمة، فناسب وصف الرحمة، وفي سورة النحل عبر باسم الجلالة؛ لأن سياق الآية يتحدث عن بيان الألوهية، وكمال القدرة والاختراع، فناسب اسم الجلالة (الله) الدال على الذات المعظمة؛ لأنه تقدمها: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ [النحل: ٧٨]، وعقبها بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾، وهذه الآية تدل على وحدانية الصانع من جهة حصر الإمساك فيه[٢].

الموضع الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠﴾ [الملك: ٢٠]. يمكن نقلها إلى مقام العذاب.

هذه الآية تحمل مظهرًا آخر من مظاهر قدرة الله وقهره وغلبته، وتستفهم استفهاما يبكتهم به المولى ويظهر عجزهم عن تعيين أحد يستطيع أن ينصرهم من دون الله بقدرته الباهرة، وعظمته البالغة.

ووجود ناصر أو ولي لهم يمنعهم وينصرهم قد نفاه المولى على وجه قاطع في أكثر من موضع في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ

---

[١]) ملاك التأويل، للغرناطي، ٣٠٦/٢.

[٢]) ينظر: تفسير ابن عرفة، ٢٦٣/٤.

ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١٠٧ ﴾ [البقرة: ١٠٧]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١١٦ ﴾ [التوبة: ١١٦]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٢٢ ﴾ [العنكبوت: ٢٢]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٣١ ﴾ [الشورى: ٣١].

وهذا المعنى الذي تحمله الآية يناسبه في الظاهر القادر القوي القهار العزيز إلى غير ذلك من أسمائه ــ جلَّ وعلا ــ التي تبرز مظاهر قدرته واقتداره.

وسر التعبير باسم الله (الرحمن) في هذا الموطن استحضار ما له ــ سبحانه ــ من شمول الرحمة، وإيماء إلى التهديد بقطعها، وأنه لو قطعها عن أحد من خلقه عمه الغضب الماحق، وللإشارة إلى أن رحمته هي المنجية من غضبه، فإبقاؤهم مع ظلمهم وجهالتهم، ورفع المضار عنهم إنما هو أثر من آثار رحمته[1].

وفيه إشارة إلى أن أخذه لهم إذا أخذهم ليس مظهرًا من مظاهر جبروته وانتقامه، وإنما مظهر من مظاهر رحمته وفضله ولطفه بالمجتمع؛ حتى تستقيم حركة حياته.

---

[1]) ينظر: نظم الدرر، ٢٥٥/٢٠، وروح البيان، ٩٢/١٠.

المبحث الرابع

تكرار اسم الله (الرحمن) مواطنه وأسراره، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: أسرار وروده في القرآن المكي.

المطلب الثاني: أكثر مواطن ذكره.

المطلب الأول

أسرار وروده في القرآن المكي

جاء القرآن المكي يقرر أسس العقيدة، والتشريع، والفضائل، والأخلاق، والآداب التي يجب أن يتحلى بها المجتمع الفاضل، ويدعو الناس إلى التوحيد، وعبادة الله، ونبذ عبادة الأصنام، وينعي عليهم ضلالهم وجهلهم، وما كانوا عليه من قبيح العادات، ويثبت الرسالة، والبعث، والقيامة وما فيها من أهوال، والجنة، والنار.

فغالب القرآن المكي يقرر ثلاثة معان ترجع في حقيقتها إلى معنى واحد، هو الدعوة إلى عبادة الله:

أحدها: تقرير الوحدانية لله الواحد الحق، ونفي الشركاء عنه.

الثاني: تقرير نبوة محمد ﷺ، وتثبيت فؤاده، وتسليته، ودعوته إلى الصبر وتحمل أذى المشركين.

الثالث: إثبات البعث، وأنه حق لا ريب فيه، فهذه هي المعاني الثلاثة التي عليها مدار القرآن المكي[1].

---

[1]) ينظر: الواضح في علوم القرآن، لمصطفى ديب البغا، ومحيي الدين ديب مستيو، ص٦٦، الناشر/ دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانية ــ دمشق، الطبعة/ الثانية، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨م، و علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، لمحمد سالم أبو عاصي، ص١٥٣، الناشر/ دار البصائر ــ القاهرة، الطبعة/ ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥م.

وهذه القضايا جميعها يغيب عن المجتمع الذي نزل فيه القرآن الكريم التصور الصحيح لها، بل يخطئون تصورها، فيظنون أن ألوهيته جبروت، وأن التكاليف التي جاء بها الوحي الكريم إعنات ومشقة، وأن وعيد الله وعذابه ترهيب وتخويف وانتقام؛ لذا جاء القرآن المكي يعالج هذه التصورات، ويعرف الناس بخالقهم تعريفًا كاملًا؛ فكان في تضاعيفه ردودًا كافية شافية لأسئلتهم، وأدوية ناجعة لأمراضهم، وحججًا مقنعة تحملهم على الإيمان، ودلائل وبراهين كونية تدلهم على صانع الوجود، ومن ثم كثر ورود اسم الله الرحمن في القرآن المكي؛ للتعريف الكامل بالخالق ــ جلَّ وعلا ــ وتأصيل هذا الاسم بما يحمله من مضامين في نفوس المتلقين للوحي، وكما يقول صاحب الظلال: «والقرآن المكي يعالج – في الغالب– إنشاء العقيدة في الله، وفي الوحي، وفي اليوم الآخر، وإنشاء التصور المنبثق من هذه العقيدة لهذا الوجود وعلاقته بخالقه، والتعريف بالخالق تعريفًا يجعل الشعور به حيًّا في القلب، مؤثرًا موجهًا موحيًا بالمشاعر اللائقة بعبد يتجه إلى رب، وبالأدب الذي يلزمه العبد مع الرب، وبالقيم والموازين التي يزن بها المسلم الأشياء والأحداث والأشخاص»[١].

هذا المعرفة بالله بما له من جلال وجمال، وألوهية ورحمة تقودهم إلى توحيد الله وعبادته، وتصحح تصوراتهم في خالقهم، وفي تشريعاته، لقد بين لهم المولى بذكر اسمه (الرحمن) أن مناط التكاليف هو الرحمة، وأن عذابه ليس قهرًا وجبرًا، وإنما مصدره الرحمة؛ وذلك من خلال دوران اسم الله (الرحمن) مع القضايا المختلفة التي ورد فيها.

---

[١]) في ظلال القرآن، ٣٦٢٨/٦.

المطلب الثاني

أكثر مواطن ذكره

أكثر مواطن ذكره على الترتيب: سورة مريم، الزخرف، الفرقان، طه، الأنبياء، يس، الملك، وهي سور مكية، وترتيب نزولها: يس، الفرقان، مريم، طه، الزخرف، الأنبياء، الملك، وهذه السور تحمل طابع القرآن المكي، وعلاقة تكرر ورود اسم (الرحمن) بمقاصد هذه السور، أن السور السبع تشتمل على البشارة والنذارة، وفي صدرها جميعا ــ عدا سورة الملك ــ حديث عن القرآن الكريم، وسياقها يدور حول بناء أسس العقيدة، من إثبات الوحدانية، وإنكار الشرك، ونفي الولد والشريك، وبعض مشاهد القيامة، وحجاج المنكرين للبعث، وعرض لمصارع المشركين والمكذبين في الدنيا، والآخرة، وبيان منهج المهتدين ومنهج الضالين من أتباع النبيين، وهذا كله من ظلال الرحمة بالبشرية؛ لأنه يقودهم بذلك إلى معرفة الله ــ جلَّ جلالُه ــ معرفة حقيقية، ويبصرهم بمواقع الهدى، ويعلمهم أن مناط التكليف الرحمة؛ وفضلًا عن شيوع الرحمة في هذه السورة التي تكرر فيها اسم (الرحمن)، فإن هناك أسرارًا يكشف عنها السياق الذي ورد فيه اسم (الرحمن).

أسرار تكراره في سورة مريم:

سورة مريم أكثر سورة ورد فيها اسم (الرحمن)؛ إذ ورد فِيها سِتَّ عَشْرَةَ مَرَّةً، وتكرر لفظ الرحمة ومعناها وظلها في آيات السورة كثيرًا، فهي مصدرة بالرحمة؛ وذُكِرَت فيها الرَّحْمَةُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فظهر من ذلك أَنَّ مِنْ مَقَاصِدِهَا تَحْقِيقُ وَصْفِ الله ــ تعالى ــ بصفة الرحمة، ومن

مقاصدها إبراز رحمة الله على عباده المؤمنين، فالسورة تتحدث عن محن عظيمة لزكريا، ومريم، وعيسى، وإبراهيم ــ عليهم السلام ــ ويكثر فيها ورود اسم الله (الرحمن)؛ للإشارة إلى أن ما وقع بهم، وحل بساحاتهم إنما هو من محض فضل الله وإنعامه، فالرحمة هي التي تظلل هذه المحن، كما أن في طيات هذه المحن نِعَمًا قد تخفى على البشر، وتلفت الأذهان إلى أن كل بلاء ينزل بالعبد قوامه الرحمة، ثم تتحدث السورة عن ادعاء ــ باطل من الكافرين ــ الولد لله ــ جلَّ وعلا ــ وهي فرية عظيمة يظهر فسادها وبطلانها التعبير باسم الله (الرحمن)؛ إذ كيف يكون المنعم مفتقرًا إلى ولد، وكذلك للإشارة إلى أنه لولا رحمته لأهلك من قال هذا، ثم تحدثت السورة عن النعيم الذي وعده المولى الخلص من عباده، لا جزاء على أعمالهم، وإنما عطاء واسعًا من فضل رحمة الله، وفيها الإخبار عن عذاب الكافرين، وهذا من فيض رحمته بأهل الحق؛ ليبصرهم بمواطن الرشاد؛ حتى تستقيم حركتهم وفق منهج الله، ثم ختمت السورة بامتنان الله على نبيه ﷺ وأمته بقوله: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ [مريم: ٩٧]؛ أَيْ: يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ بأن أنزلناه بلُغَتِكَ، ويَسرناه للذكر، وَسَهَّلْنَاهُ؛ بشرى للمتقين، وإنذارًا للكافرين، فالظل الغالب في السورة هو ظل الرحمة والرضا والاتصال؛ ولذا كثر ورود اسم الله (الرحمن) بها.

أسرار تكراره في سورة الزخرف:

ورد اسم (الرحمن) في سورة الزخرف سبع مرات، والسورة مصدرة بالقسم بالكتاب المبين، والامتنان بجعله قرآنًا عربيًّا، وهذا من فيض رحمة الله ــ تعالى ــ ثم تتحدث السورة عن أن من فيض رحمة الله أن لا يترك عباده هملًا، بل يرسل إليهم الرسل، وينزل عليهم الكتاب؛ رحمة منه، حتى

لو كانوا مسرفين ظالمين، قال تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾ [الزخرف: ٥]، ثم تبين السورة الحق في كثير من جوانب جدال المشركين وأباطيلهم، وتصوراتهم الفاسدة، وانحرافاتهم العقدية، كانحرافاتهم في شأن الأنعام، وقولهم: إن الملائكة بنات الله، فترد على هذه التصورات، وتضع الحق موضعها، وهذا مظهر من مظاهر رحمة الله.

أسرار تكراره في سورة الفرقان:

ورد في سورة الفرقان خمس مرات، والسورة قوامها الرحمة، رحمة الله بنبيه ﷺ فيبدو في السورة تسلية الله لرسول الله ﷺ عما يلقاه من المشركين من جحود وعناد، وصدود واستكبار، وسخرية واستهزاء، وتثبيت وتقوية له في مواجهتهم، وهذه اللمحة من التسلية رحمة من الله بنبيه ﷺ ليهون عليه المشقة، ويصبره على أذى المشركين وتطاولهم، ويبين له أنهم يتطاولون على خالقهم ــ سبحانه وتعالى.

أسرار تكراره في سورة طه:

ورد في سورة طه أربع مرات، وتبدأ هذه السورة، بخطاب للنبي ﷺ ببيان أن القرآن الكريم الذي أنزل عليه، والتكاليف التي حُملها ليست شقاء، ولا عناء، إنما هي التذكرة لمن يخشى، ودعوة الخلق إلى الله، يتبع ذلك بقصة موسى ــ عليه السلام ــ مع فرعون، ورعاية الله له، ثم تعرض مشاهد من يوم القيامة؛ للإنذار والاستعداد، وفي طي ذلك من الرحمة ما لا يخفى.

أسرار تكراره في سورة الأنبياء:

ورد في سورة الأنبياء أربع مرات، ومحور الحديث في السورة موضوع العقيدة، وتبدأ بإنذار الناس باقتراب الساعة، وتنبيههم من غفلتهم عن الذكر الذي يعرضون عنه، وتأتي لهم بمشاهد من بناء هذا الكون الفسيح، والحديث عن الموت، وما بعده من مصير، وعن الرسل السابقين، وحمة الله بهم باستجابته لدعائهم، فهي السورة التي ورد فيها ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا ﴾، بل تكرر أربع مرات مع أنبياء الله: نوح، وأيوب، ويونس، وزكريا ــ عليهم السلام ــ وعن بعض مشاهد يوم القيامة، وهذه الأمور يجمعها شيء واحد هو الدعوة والإنذار، ومصدرها رحمة الله.

أسرار تكراره في سورة يس:

ورد في سورة يس أربع مرات، وموضوع السورة الرئيس الحديث عن البعث والنشور، وهدفها الأول هو بناء أسس العقيدة، ومطلع السورة قسم بالقرآن الحكيم على صدق رسالة سيدنا محمد ﷺ وتحذر من عاقبة التكذيب بالوحي والرسالة، كذلك تتعرض السورة لقضية الألوهية والوحدانية، وقضية البعث والنشور، وتعرض مشاهد من يوم القيامة، وتبصير الناس بكل ذلك من مظاهر رحمة الله جل وعلا.

أسرار تكراره في سورة الملك:

ورد في سورة الملك أربع مرات، والسورة تبدأ بالتعريف بالله، وأنه مالك الكون، وخالق الموت والحياة، وتلفت العباد إلى ما بعد الموت، وفيها حديث عن الكون، وقدرة صانعه، وإبداعه في خلقه، من سماء محكمة الخلق لا تفاوت فيها، وتزيينها بالمصابيح، وأرض مهدها وذللها، ونفس

سواها، ويعلم ما تكنه بداخلها، ويعرض لهم مشاهد من كمال قدرته، منها صورة إمساك الطير في الهواء، وتبين أنهم غافلون عن قدرة الله وقدره، وفي الحقيقة لا يوجد لهم ناصر ولا رازق إلا الله، ثم يذكر العباد ــ سبحانه ــ بما امتن به عليهم من نعمة الخلق في أحسن تقويم، والسمع، والأبصار، والأفئدة، ولكنهم لا ينتفعون بها، بل يكذبون بالبعث والحشر، ويسخرون منه بالسؤال عنه، ويتربصون الدوائر بالنبي ﷺ ثم يبين لهم المولى أن عذابه لو حل بهم لا يستطيع أن يدفعه دافع عنهم، وهذا الحديث بكل حلقاته المتصلة تتجلى فيه رحمة الله.

خـــاتـــمـــة

انتهى البحث إلى عدد من النتائج هي:

١ــ لاسم الله (الرحمن) معان وإيحاءات في سياقات وروده ــ على تباينها واختلافها ــ أغنت عن كثير من الكلمات والجمل والعبارات، فكان من خلاله وجازة اللفظ، وتكاثر المعاني وتناميها.

٢ــ جاء التعبير باسم الله (الرحمن) في مقامات شتى على خلاف ما يقتضيه الظاهر؛ وذلك لدواع وأسرار بلاغية تتكشف بالتأمل في السياق.

٣ــ أبان التعبير باسم الله (الرحمن) في السياقات المختلفة عن صورة من صور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر التي لم يتوجه إليها البلاغيون بالدرس، وهي التعبير باسم موضع اسم آخر يقتضيه الظاهر.

٤ــ أبان البحث أن مجال التعبير باسم الله (الرحمن) رحب متسع، لا يستأثر به سياق يتعين وروده فيه دون غيره.

٥ــ كشف البحث أن التعبير باسم (الرحمن) صحح كثيرًا من التصورات الخاطئة لدى المتلقين للقرآن الكريم؛ بكشفه عن أن مجال الرحمة هو الذي يظلل الوعد والوعيد، والثواب والعقاب، والأوامر والنواهي.

٦ــ وجه الجمع بين الرحمن والرحيم الدلالة على كمال الرحمة الإلهية، واستغراقها لكل معاني الرحمة وحالاتها.

٧ــ السياق الذي جمع فيه بين الرحمن والرحيم هو الحديث عن تقرير وحدانية الله ــ جلَّ وعلا ــ وهذه التقرير يحتاج إلى مزيد تأكيد لعموم

رحمة الله ــ جلَّ وعلا ــ؛ لدفع توهم أن ألوهيته قهر وتسلط، ويرسخ أن انفراده بالألوهية مظهر من مظاهر رحمته.

٨ــ جمع بين الرحمن والرحيم في البسملة؛ لإبراز جمال الربوبية بجانب إبراز جمال الألوهية، وكأنه تلطف في طلب الاستعانة، فقد لا يمنح الإله العون بمقاييس الألوهية، وإنما يمنحها تفضلًا ورحمة بمقاييس الربوبية الذي يتجلى في اسمه (الرحمن).

٩ــ اقترن الرحيم بالرحمن في ستة مواضع في القرآن الكريم، اشتملت الفاتحة على موضعين؛ أي نصف ما اشتمل عليه القرآن الكريم؛ لأنها أم القرآن التي اشتملت على جميع مقاصده.

١٠ــ كثر ورود اسم الله الرحمن في القرآن المكي للتعريف الكامل بالخالق ــ جلَّ وعلا ــ وتأصيل هذا الاسم بما يحمله من مضامين في نفوس المتلقين للوحي.

١١ ــ الأسماء الثلاثة التي وردت في البسملة، في صدر القرآن الكريم تُعدُّ دستورًا وميثاقًا في تعامل العبد مع الله، وإدراكًا لحقيقة تعامل المولى مع خلقه، فاسم الجلالة يقرر حقيقة علاقة العبد بربه؛ إذ يعرف له به جلال ألوهيته، فيلزم توحيده والأدب معه، و (الرحمن الرحيم) يقرر حقيقة علاقة المولى بخلقه؛ إذ يتجلى عليهم برحمته في أمر معاشهم ومعادهم.

١٢ ــ السياقات المتنوعة التي جاء التعبير فيها باسم الله (الرحمن) أبانت عن أن الرحمة هي الصفة الغالبة على كل الصفات الإلهية؛ ولذا ورد اسمان دالان عليها في البسملة التي يبتدأ بها كل أمر، وهي السِّمَة

العامة في التشريع بكل جوانبه، وما يترتب عليه من: عقيدة، وشريعة، وعبادات، وأمر، ونهي، ووعد، ووعيد.

١٣ــ أبانت السياقات المختلفة التي ورد فيها اسم (الرحمن) أن مفهوم الرحمة الإلهية أوسع من أن يكون في صورة العطاء الظاهري الذي يحسبه الغافل إنعام، بل رحمته أوسع من أن تحدها العقول، أو تحصر صورها، فمنعه رحمة، وعطاؤه رحمة، وعذابه رحمة، وثوابه رحمة؛ لذا جاء التعبير باسم الله (الرحمن) في سياقات المنع والعذاب.

١٤ ــ أبان ورود اسم (الرحمن) في سياق الحديث عن الكافرين أن كل صفات الله تنبثق من صفة الرحمانية التي يتصف بها المولى ــ سبحانه ــ أي مرجع كل صفاته إلى رحمته، فهو يخوف عباده بصفات الجلال: الله، القهار، الجبار، المتكبر، العزيز وغير ذلك؛ رحمة بهم حتى لا يقعوا في مخالفة أمره، فيفوزوا بسعادة الدنيا، ونعيم الآخرة، فرحمته هي الغالبة لكل صفاته، وهي السمة العامة له ــ سبحانه ــ مع خلقه في وعده ووعيده.

١٥ ــ ورود اسم الله (الرحمن) في القرآن الكريم في سياقات مختلفة بصورة متكافئة بين الحديث عن مظاهر جزاء الله المؤمنين على أعمالهم الصالحة، الذي ينادي بموفور عدله، والحديث عن جزاء الكافرين على كفرهم ومخالفتهم، الذي ينادي بعظيم غضبه، وشدة انتقامه إشارة إلى أنه ــ سبحانه ــ لا يجب عليه شيء لخلقه، وأن جزاء المؤمنين محض فضل منه، ومظهر من مظاهر رحمته، وأن عقاب الكافرين ليس انتقامًا، ولا مظهرًا من مظاهر قهره وسطوته، بل من مظاهر رحمته؛ فكمال

رحمته تقتضي إثابة المتقين، ومجازاة المقصرين؛ حتى لا يستوي المحسن والمسيء.

١٦ــ ورود اسم الله (الرحمن) في سياق الحديث عن النعيم والعذاب بصورة متقاربة يشير إلى أعلى النعيم وأعظمه؛ إذ إن رحمته أوسع عطاياه، فهي أو سع من جنته بكل ما فيها من ألوان النعيم، ويشير إلى أشد العذاب وأفظعه؛ إذ إن أقسى ألوان العذاب هو الطرد والحرمان من رحمته.

١٧ــ التعبير باسم الله (الرحمن) في سياق الدعوة إلى الله والتعريف، يحمل دلالة قوية على أنه من أقوى الحجج، وأسطع البراهين في مقام الدعوة إلى الله؛ فهو حجة كافية في ذاته بوجوب الإيمان به ــ جلَّ وعلا.

١٨ــ التعبير باسم الله (الرحمن) في سياق ذم الكافرين يشير إلى أنهم بلغوا في الكفر مبلغًا كبيرًا؛ إذ إنهم كفروا به مع إحسانه وإنعامه، كل ذلك في لفظ وجيز.

١٩ــ التعبير باسم الله (الرحمن) في سياق الحديث عن خشية المؤمنين يشير إلى الثناء العظيم على الخاشي؛ إذ إنه يخشاه مع علمه بسعة رحمته.

٢٠ــ سر التعبير باسم الله (الرحمن) في مقام الحديث عن إنزال الكتاب الإشارة إلى أن القرآن الكريم من مظاهر رحمته ــ سبحانه ــ فما يحتويه من تكاليف، وما فيه من حدود وزواجر، هو من مظاهر

رحمته ــ جلَّ وعلا ــ بالناس؛ لتتنظم حياتهم، وتتحقق لهم السعادة في دنياهم، ويعيشوا آمنين مطمئنين، وليس للإعنات أو المشقة.

٢١ــ أبان التعبير باسم الله (الرحمن) في مقام المَلِك أَنَّ تفرد المولى بملك السماوات والأرض، وإخباره باستوائه على العرش ليس مظهرًا من مظاهر جبروته، بل من مظاهر رحمته بخلقه؛ إذ إنه ــ سبحانه ــ استوى على عرشه؛ لينظم حياتهم، حتى يسعدوا بها، فاستواؤه رحمة بالخلق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا اغفر لنا ما يعترينا من قصور الفهم، وخلل الرأي، وارزقنا حسن الفهم، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

ثبت المصادر والمراجع

١ــ الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هــ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هــ/ ١٩٧٤ م.

٢ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢ هــ)، الناشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت –.

٣ــ أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هــ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هــ – ١٩٩٢ م.

٤ــ أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، لمحمود ابن حمزة بن نصر، أبي القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء، (ت: ٥٠٥ هــ)، ت/ عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق/ أحمد عبد التواب أحمد عوض، ط/ دار الفضيلة.

٥ــ الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن، الأستاذ الدكتور/ محمد الأمين الخضري، الناشر، مطبعة الحسين الإسلامية، ط/ الأولى، ١٤١٣ هــ،١٩٩٣ م.

٦ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (ت: ٦٨٥ هــ)، ت/ محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت –، ط/ الأولى ١٤١٨ هــ.

٧ــ الإيضاح، للخطيب القزويني (ت: ٧٣٩ هــ)، ت: د/ محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر/ دار الجيل ــ بيروت ــ، ط/الثالثة.

٨ــ بحر العلوم، للسمر قندي، (تفسير السمر قندي) نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمر قندي (ت: ٣٧٥ هــ)، ت: د/ محمود مطرجي، ط/ دار الفكر – بيروت –.

٩ــ البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (ت:٧٤٥ هــ)، ت/ صدقي محمد جميل، ط/ دار الفكر – بيروت –، ط/١٤٢٠ هــ.

١٠ــ بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، أبي عبد الله ابن قيم الجوزية، ت: هشام عبد العزيز عطا، وعادل عبد الحميد العدوي، وأشرف أحمد، الناشر/ مكتبة نزار مصطفى الباز ــ مكة المكرمة، ط/ الأولى ١٤١٦ هــ، ١٩٩٦م.

١١ــ البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هــ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ط: الأولى، ١٣٧٦هــ –١٩٥٧م.

١٢ــ البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات القرآنية، الأستاذ الدكتور/ محمد حسنين أبو موسى، الناشر/ دار الفكر العربي ــ القاهرة ــ.

١٣ــ بيان إعجاز القرآن، للخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، ت/ محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، ط/ دار المعارف، ط/ الرابعة.

١٤ــ التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، للطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣ هــ)، الناشر/ الدار التونسية للنشر – تونس – ١٩٨٤م.

١٥ــ التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هــ)، ت: الدكتور/ عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت –، ط: الأولى ١٤١٦هــ.

١٦ــ التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هــ) المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هــ.

١٧ــ تفسير ابن عرفة، لمحمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت: ٨٠٣هــ)، ت: جلال الأسيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م.

١٨ــ تفسير الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هــ)، جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب، جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هــ – ١٩٩٩

م، جزء ٢، ٣: من أول سورة آل عمران وحتى الآية ١١٣ من سورة النساء، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي، دار النشر: دار الوطن – الرياض –، الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، جزء ٤، ٥: (من الآية ١١٤ من سورة النساء وحتى آخر سورة المائدة)، تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، الناشر: كلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى، الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

١٩ـ تفسير الشعراوي (الخواطر)، لمحمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨ هـ)، ط/ مطابع أخبار اليوم.

٢٠ـ تفسير القرآن العظيم، المنسوب إلى الإمام الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، نسخة إلكترونية.

٢١ـ تفسير القرآن العظيم، لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤ هـ)، ت/ سامي ابن محمد سلامة، الناشر/ دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/ الثانية ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م.

٢٢ـ التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب (ت: ١٣٩٠هـ)، الناشر/دار الفكر العربي – القاهرة–.

٢٣ـ تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، لمحمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، ت: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٢٤ــ تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١ هــ)، ط/ شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط/ الأولى ١٣٦٥ هــ، ١٩٤٦م.

٢٥ــ التفسير المظهري، للمظهري، محمد ثناء الله، ت: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية – باكستان –، ط: ١٤١٢ هــ.

٢٦ــ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة بن مصطفى الزحيلي ، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق –، ط: الثانية ١٤١٨هــ.

٢٧ــ التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي (ت: ١٤٣١هــ)، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة –، ط: الأولى.

٢٨ــ التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي (ت: ٣٨٠هــ)، الناشر: كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض – المملكة العربية السعودية.

٢٩ــ تلخيص البيان في مجازات القرآن، للشريف الرضى (ت: ٣٩١هــ)، دار النشر: دار الأضواء – بيروت –.

٣٠ــ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم بن حمد ابن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (ت: ١٣٢٧هــ)، ت: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي ــ بيروت، الطبعة/ الثالثة ١٤٠٦ هــ.

٣١ــ تيسير التفسير، لإبراهيم القطان (ت: ١٤٠٤هـــ)، الكتاب ضمن المكتبة الشاملة.

٣٢ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـــ)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـــ -٢٠٠٠ م.

٣٣ــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري، للطبري (ت: ٣١٠ هـــ)، ت/أحمد محمد شاكر، ط/ مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى ١٤٢٠ هـــ، ٢٠٠٠م.

٣٤ــ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، للقرطبي (ت: ٦٧١هـــ)، ت/ أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط/ دار الكتب المصرية – القاهرة –، ط/ الثانية ١٣٨٤ هـــ، ١٩٦٤م.

٣٥ــ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦ هـــ)، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: الأولى، ١٤٢٢هـــ.

٣٦ــ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـــ)، ت: الشيخ/ محمد علي معوض، والشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـــ.

٣٧ــ حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان الشافعي (ت: ١٢٠٦هــ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هــ -١٩٩٧م.

٣٨ــ حاشية القونوي عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (ت: ١١٩٥ هــ) على تفسير الإمام البيضاوي، ومعه حاشية ابن التمجيد مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي (ت: ٨٨٠ هــ)، ضبطه وصححه وخرج آياته/ عبد الله محمود محمد عمر، الناشر/ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان.

٣٩ــ حاشية الكشاف، للسعد، الناشر/ مكتبة ولاية بافاريا، ط ١٨٣٨م، من على شبكة المعلومات.

٤٠ــ حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢١ هــ -٢٠٠١ م.

٤١ــ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هــ)، ت: الدكتور/ أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم ، دمشق .

٤٢ــ دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هــ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هــ – ١٩٩٢م.

٤٣ــ روح البيان، لإسماعيل حقي (ت:١١٢٧ هــ)، الناشر/دار الفكر – بيروت –.

٤٤ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي (ت: ١٢٧٠ هــ)، ت/ علي عبد الباري عطية، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت –، ط/ الأولى ١٤١٥ هــ.

٤٥ــ الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨هــ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هــ –١٩٩٢.

٤٦ــ زهرة التفاسير، لأبي زهرة (ت: ١٣٩٤ هــ)، الناشر/ دار الفكر العربي.

٤٧ــ سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هــ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جــ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جــ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جــ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هــ – ١٩٧٥ م.

٤٨ــ علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، محمد سالم أبو عاصي، الناشر/ دار البصائر ــ القاهرة، الطبعة/ ١٤٢٦ هــ، ٢٠٠٥م.

٤٩ــ عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي = حَاشِيةُ الشِّهَابِ الخفاجي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن

عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت: ١٠٦٩هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت–.

٥٠ــ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، ت: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت –، ط: الأولى – ١٤١٦هـ.

٥١ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة –بيروت ، ١٣٧٩هـ.

٥٢ــ فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

٥٣ــ فتح القدير، للشوكاني (ت: ١٢٥٠ هـ)، الناشر/ دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت –، ط/ الأولى ١٤١٤ هـ.

٥٤ ــ الفتوحات المكية، لابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ)، الناشر/ دار صادر ــ بيروت.

٥٥ــ في ظلال القرآن، لسيد قطب (ت: ١٣٨٥ هـ)، الناشر/ دار الشروق – القاهرة –، ط/ السابعة عشر ١٤١٢ هـ.

٥٦ــ الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه:

محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٥٧ــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨ هــ)، الكتاب مذيل بحاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف، لابن المنير، ط/ دار الكتاب العربي – بيروت –، ط/ الثالثة ١٤٠٧ هــ.

٥٨ــ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧ هــ)، ت/ الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق/ الأستاذ نظير الساعدي، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، ط/ الأولى ١٤٤٢٢ هــ، ٢٠٠٢م.

٥٩ــ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي (ت: ١٠٩٤ هــ)، ت: د/ عدنان درويش، أ/ محمد المصري، ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت –١٤١٩ هــ، ١٩٩٨م.

٦٠ــ اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هــ)، ت/ الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ: علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩ هــ –١٩٩٨م.

٦١ــ لسان العرب، لابن منظور (ت: ٧١١ هــ)، الناشر/ دار صادر – بيروت –، ط/ الثالثة ١٤١٤ هــ.

٦٢ــ لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هــ)، ت: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.

٦٣ــ مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: ٢٠٩هــ)، ت: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة –، ط: ١٣٨١ هــ.

٦٤ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هــ)، ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت –، ط/ الأولى ١٤٢٢ هــ.

٦٥ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هــ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هــ – ١٩٩٨ م.

٦٦ــ مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، لمحمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (ت: ١٣١٦هــ)، ت: محمد أمين الصناوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت –، ط: الأولى/ ١٤١٧هــ.

٦٧ــ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ت: (٢٤١ هــ)، المحقق: مكتب البحوث بجمعية المكنز الإسلامي، المشرف: الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، الناشر: جمعية المكنز الإسلامي – دار المنهاج، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هــ – ٢٠١١م.

٦٨ــ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هــ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت –.

٦٩ــ معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـــ)، ت: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت –، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـــ.

٧٠ــ معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـــ)، ت: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩م.

٧١ــ معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـــ)، ت: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت –، ط: الأولى ١٤٠٨ هـــ – ١٩٨٨م.

٧٢ــ مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للرازي (ت: ٦٠٦ هـــ)، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/ الثالثة ١٤٢٠ هـــ.

٧٣ــ المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ت/ محمد سيد كيلاني، الناشر/ دار المعرفة.

٧٤ــ المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـــ)، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي – قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

٧٥ــ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبي جعفر (ت: ٧٠٨هـــ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٧٦ــ المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هــ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

٧٧ــ من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، الأستاذ الدكتور/ محمد الأمين الخضري، الناشر، مكتبة وهبة، ط/ الثانية، ١٤٣٧ هــ، ٢٠١٥ م.

٧٨ــ النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧ هــ)، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة: السابعة، ١٤١٣ هــ، ١٩٩٣م.

٧٩ــ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (ت: ٨٨٥ هــ)، الناشر/دار الكتاب الإسلامي –القاهرة–.

٨٠ــ النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ت: ٤٥٠ هــ، ت: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر/ دار الكتب العلمية ــ بيروت.

٨١ــ الواضح في علوم القرآن، لمصطفى ديب البغا ومحيي الدين ديب مستيو، الناشر/ دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانية ــ دمشق، الطبعة/ الثانية، ١٤١٨ هــ، ١٩٩٨م.

محتويات البحث

الموضوع

ملخص البحث

مقدمة

تمهيد:

أوَّلًا: الدلالة المعجمية

ثانيًا: هل الرحمن عربي؟.

ثالثًا: هل الرحمن اسم ؟.

رابعًا: هل الرحمن مشتق؟.

خامسًا: الصفة التي اشتق منها

المبحث الأول: اقتران الرحمن بغيره من الأسماء الحسنى مواقعه وأسراره

المطلب الأول: اقتران الرحمن باسم الجلالة في البسملة

المطلب الثاني: أسرار تقديم الرحمن على الرحيم

المطلب الثالث: أسرار تعقيب الرحمن بالرحيم

المبحث الثاني: أسرار وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (الله)

المطلب الأول: وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (الله) في مقام الخشية

المطلب الثاني: وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (الله) في مقام الامتنان بإنزال القرآن الكريم

المطلب الثالث: وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (الله) في مقام الحديث عن المؤمنين

المطلب الرابع: وضع (الرحمن) موضع اسم الجلالة (الله) في مقام الحديث عن الكافرين

المبحث الثالث: أسرار وضع (الرحمن) موضع غيره من أسماء الله الحسنى

المطلب الأول: وضع (الرحمن) موضع المَلِك

المطلب الثاني: وضع (الرحمن) موضع الجبار

المطلب الثالث: وضع (الرحمن) موضع القادر

المبحث الرابع: تكرار اسم الله (الرحمن) مواطنه وأسراره

المطلب الأول: أسرار وروده في القرآن المكي

المطلب الثاني: أكثر مواطن ذكره.

الخاتمة

قائمة المصادر والمراجع

محتويات البحث...